مجموعة قصصية

أكاذيب النّساء

د.سناء شعلان

أكاذيب النّساء

الطبعة الأولى
٢٠١٩
الحقوق محفوظة للمؤلفة

المؤلف ومن هو في حكمه	: سناء شعلان
عنوان الكتاب	: أكاذيب النّساء
بيانات الناشر	: أمواج للنشر والتوزيع، عمان – الأردن
عدد صفحات الكتاب	: ٢١٢
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية	: (٢٠١٨/٣/١٤٩٧)
الرقم المعياري الدولي (ISBN)	:٩٧٨-٩٩٥٧-٥٤٥-٢٣-٩
الواصفات	: / القصص العربية/ / العصر الحديث

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.
- تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية
- تصميم الغلاف: أسمى جرادات
- الإخراج الفني والتنضيد: أسمى جرادات

جميع حقوق الملكية الأدبية محفوظة ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه أو إدخاله على الكمبيوتر أو ترجمته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة خطيّة من المؤلفة.

أمـــــواج للطبـــاعة والنشر والتوزيـــع
المملكـــة الأردنيـــة الهاشميـــة - عمـــان
تلفاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٨٣٦١/ ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٩٦٥١
amwajpub@yahoo.com
www.amwaj-pub.com

مجموعة قصصيّة

أكاذيب النّساء

د. سناء شعلان

أمواج
للطباعة والنشر والتوزيع

إهداء كاذب

إليهنّ عندما يُجدن الكذب كي يوارين الألم خلف الصّمت.

إليّ؛ لأنّني أفوقهنّ قدرة على الكذب.

إلى مولانا الكذب الذي يهبنا الهراء كلّما احتجنا إليه في عالم لا يدين إلاّ له ولمريديه من الخرّاصين.

دربة

لولا الكذب ما كانوا و ما كان الألم.

إجابة

هذه هي أكاذيبهن وأكاذيبهم، فماذا عن أكاذيبكم؟

الفِهْرست

رقم القصّة	اسم القصّة	رقم الصّفحة
	إهداء	٥
	الفِهْرست	٩
١	مولانا الكذب	١١
٢	أكاذيب النّساء	١٧
٣	أكاذيب العدالة	٤١
٤	أكاذيب مباحة	٤٩
٥	تخريصات	٥٥
٦	صهوات الكذب	٦٧
٧	أفراح التّدليس ومصارع الصّادقين	٧٩
٨	يوم صادق مؤسف جدّاً	٩١
٩	كاذبون بمنتهى الصّدق	١٠١
١٠	جارتنا أمّ الخير	١١٩
١١	روايات موضوعة	١٢٩
١٢	كلّه تمام	١٣٧
١٣	أكاذيب الوسط	١٤٥
١٤	تضارب أقوال	١٦٩
١٥	ألف كذبة وكذبة	١٨١

مولانا الكذب

مولانا الكذب

كلّ من يزعمون أنّهم على خصومة مع مولانا الكذب هم يخرّصون!

لا أحد يجرؤ على أن يسأل عن أصل مولانا الكذب أو حياته أو موطنه أو منبته أو تربة روحه المسروقة منذ الأزل؛ فهو عندما يتجلّى لمريديه وأتباعه وأنصاره يبتلع الأسئلة كلّها، وفي بعض ثورات غضبه الأحمر المأفون يبتلع بعضاً من جسده وأعضائه وأفكاره وكلماته، لم يجرؤ أحد على أن ينسج أيّ قصّة حول تفاصيل حياته، وأسرار وجوده، وتقاسيم ملامحه، وحقيقة خلقه وتكوينه؛ بل لا أحد يملك أن ينظر في وجهه المكرمش حدّ التّثني والتّقبّض والتّشمير، فقط الجميع يكتفون بتقبيل رؤوس أصابع قدميه، وهم يسجدون له متضرعين له ليمطر عطاياه عليهم، ويتثنّون له في زوايا معبده، دون التجرّؤ على النّظر إلى ما يكشفه ثوبه عن عاري قدميه اللّتين تسكن في مساماتهما الشّوكيّة حشرات متأبّدة لزجة، ويتنزّى منهما قيح مخاطيّ دبق.

الجميع يكتفي بطبع قبلة سريعة على أظافر قدميه قبل أن تنساح روائح العفونة في أنوفهم، وتزكم أعصابهم، وتضرب أعلى أفواههم لتصكّ نافوخ الرّأس بعد أن تتشبّث بتلابيب أعلى سقف الحلق.

لم يجرؤ بشر يوماً على السّؤال عمّن يكون مولانا الكذب؛ ففضحه يعني فضح الجميع، والتّجاوز عليه يعني إهانته التي لا تُغتفر، وإعلان عبادته جهراً وصراحة هي قوة وأنفة وعزّة لا يملكها مولانا الكذب ذاته، ولذلك

يكتفي الجميع بعبادته دون إشهار ذلك، ويلتقي الملتقون في محاريب معابده دون تصافح أو حديث أو تعارف أو تواصل، بل كلّ ينزوي في ركن بعيد عن الآخر، وكأنّه لا يرى أحداً في المكان، في حين يكتفي الجميع ببعض الإيماءات والغمز واللّمز والإشارات لغة بينهم تدلّ على ترحيب أو ترهيب أو انتظار في الخارج أو تذكير بموعد مؤجل أو وعد منتظر أو وعيد قادم.

مولانا الكذب له هيبة كبيرة، وحضور كامل، حتى في الأحلام يراه الأفّاقون، ويزعمون أنّه قد التقى بهم، وصاحبهم، ويقسمون على ذلك بماء العيون، وشهقات النّفوس التي أتلفها الانتظار والتّمنّي.

مريدو مولانا الكذب لا عدد يحصيهم، ولا رقم يحتويهم؛ إنّهم كثر مثل حبّات الرّمل، وفقاعات مياه البحار، وأنفاس البشر، وقرعات القلوب، لا أحد يعرف متى تتلمذ المريدون على يديه، ولا كيف، ولا بأيّ شكل؛ فمعلومة كهذه تتأبّى على الصّدق، فكيف يدركها الكذب والكذّابون؟ المعلومة الأكيدة أنّ الكذّابين جميعاً تتلمذوا على يديّ مولانا الكذب في زمن ما وبطريقة مجهولة، وأنّ حظوظهم في تحصيل الكذب واستغلاله واستثماره تتفاوت وفق اجتهاداتهم ومناسيب رداءة أرواحهم ومقدار موت ضمائرهم ومساحة حجم أحلامهم الشّريرة وطموحاتهم الرّحبة وأطماعهم الطّائشة.

لمولانا الكذب صورة وحشيّة مقزّزة يعلّقها مريدوه في تجاويف أرواحهم وظلام أنفسهم، وعندما يحضر مولانا الكذب تتبخّر نوازع الخير، ويتضاءل أساطين العلم، وتتغيّر طبائع الإنسانيّة،ويحشر مولانا الكذب جسده المعلوك في أماكنها جميعاً، ويجلس ضاحكاً مكشّراً بابتسامته عن أتلام فمه، وأشواك شفتيه، وخلوف ريقه؛ فيسارع الجميع إلى عبادته، والسّجود له شكراً على عونه؛ فلولا الكذب ما فاز مريد له، ولا نجح أفّاق، ولا ساد

مجرم، ولا اشتهر فاسق، ولا انتصر ظالم، ولا ضاع حقّ، ولا انتشر شرّ أو فساد أو طغيان.

قليل عددهم أولئك الذين يعلنون حرباً رعناء على جبروت مولانا الكذب، ويتمسّكون بالصّدق، وينحازون له، ويرفعون ألوية الصّدق والإصلاح والعدل والحريّة والإخاء، والكثير من الشّعارات البرّاقة النّقيّة التي تقزّز مولانا الكذب، وتجعله يتبّول على نفسه غضباً، ويتقيّأ على ملابسه النّجسة، ويندفع لصبّ جامّ غضبه على أولئك الخصوم؛ فيحقّد مريديه عليهم، وهم في حقد أنفسهم لا يحتاجون إلى المزيد من الحقد، ولا نيران تحفيز، فتكون نهاية الخصوم من أنصار الصّدق على أيدي مريدي مولانا الكذب، فيبلغونهم المهالك، ويقضون عليهم بعد أن يتكالبوا عليهم تكالب الوحوش على الجيفة؛ فلا مكان للصّدق والصّادقين، والإخلاص والمخلصين في أرض الكذب والنّفاق والشّقاق والنّزاع، حيث يحكم مولانا الكذب عالمه الأسود المقيت.

مولانا الكذب في أوقات فراغه -وقلما تكون عنده أوقات فراغ لانشغاله بالكذب ثم الكذب ثم الكذب- يقدّم خدماته للشّعوب والقادة أفراداً وجماعات ومؤسّسات وهياكل وعصابات؛ فهو سيّد الأماكن والأزمان بلا منازع، وعندما يسبّ أحدهم الكذب، أو يلعنه، يسقط مولانا الكذب على قفاه؛ لشّدة ما يضحك ساخراً من كذبة هذه المسبّة؛ إذ يعلم أنّ سبّ مريديه له على الملأ ولعناتهم عليه أمام الجماهير ما هي إلاّ تسبيح بوحدانيته في ملكوت الكذب؛ فهو الرّب الأعلى لمريديه ولاعنيه!

مولانا الكذب يتضخّم في كلّ لحظة بفضل أكاذيب مريديه، ويتوسّع في كلّ همسة نفاق ودجل وتلفيق، ويسعد بلا انفكاك كلّما شنّف التخّريص

أذنيه الدّئبيتين بما يحبّ من كلام، ويقسم بأعضائه التّناسليّة النّجسة أنّ مريديه يتفوّقون عليه كذباً وتلفيقاً وتزويراً، ويتيه أمام نفسه كبراً؛ إذ يدعوه المريدون في كلّ مكان، ولذلك يحقّ له أن يتربّع على عرش الولاية والوصاية؛ فهو مولى مريديه، ولولاه ما قسموا صحيحاً من رغيف، ولا عضّوا بالأنياب على منفعة أو مصلحة، أو نالوا ظفراً لا يستحقّونه.

أكاذيب النّساء

أكاذيب النّساء

"مكتوب في سفر النّجاسة: تكذب النّساء كي تتبرّأ من نجاسة المجتمع ودرن ظلمه لها"
"مسطور في سفر الصّمت: تكذب النّساء خوفاً من البوح"
"من أسفار الكاذبين: من كذب فقد نجا؛ ومن نجا بذلك، فقد هلك"
"مرقوم في قانون الغاب: الأضعف عليه أن يكذب كي يعيش"
"الكاذبون في جهنّم الآخرة، والصّادقون في سقر الحياة"

(ا)
(أ)
أكاذيب العانس

جلستْ –كعادتها– على دكّة إسمنتية صلدة مشبّعة بحرارة شمس النّهار الذي كاد يبتعد عن غرفتها العمياء الصّغيرة كجحر خُلد، حيث تعيش فيها وحيدة منذ زمن. الشّمس تكاد تسقط في أفق الغروب، وجاراتها اللّواتي ألفن هذا الميعاد للّقاء والجلوس والتّحلق حول فناجين القهوة يتوافدن عليها تباعاً؛ لتروي لهنّ جارتهنّ العانس العجوز قصص شبابها المنصرم، وبطولات أنوثتها الهالكة، وحكايات تجاربها النّادرة.

قدّمت لهنّ قهوتها المرّة على الرّغم من كثرة ما فيها من ملاعق السّكر، وشرعت تلوّح لهنّ بقصتها الوحيدة التي باتت إيقونة فخرها الدّائمة؛ إذ تقول لهنّ بلهجتها الفخورة التي يشوبها تمثيل غير محترف وكبر مصنوع بمهارة أنّها خدمت أسرتها فرداً فرداً بتفانٍ قلّ نظيره، وأنّها قطّعت عمرها الذي بلي جلّه في خدمة والديها حتى رحلا عن العالم راضيين

مرضيين بعد مرض عضال ألمّ بهما لسنوات عجاف جافّة، فكانت البّارّة بهما حياة ومماتاً، وأنّها ربّت إخوتها وأخواتها بكلّ محبّة وإخلاص، وأنّها أدارت ظهرها للحبّ والعشق والزّواج ولذات الجسد والرّوح والانتشاء لأجل أن تربّي إخوتها الأيتام.

وتخرج –كعادتها– صرّة قماشيّة من حمّالة صدرها المهترئة، وتفتحها باستعراضيّة حاوٍ يخرج أرنباً من قبعته، أو زينة ملوّنة من فردة قفازه، وتعرض على الجارات ما فيها من أوراق ماليّة مرصوصة بعناية، وتقسم أمام الجميع قسمها اليوميّ أنّها أسعد امرأة في الوجود، وأنّ إخوانها وأخواتها يضعونها في أعلى هرم ما يقدّسون في الحياة، وأنّهم يفتحون لها خزائن أموالهم؛ لتغرف منها ما تشاء، ومتى تشاء دون حساب، وأنّها سلطانتهم المتوّجة على قلوبهم وإراداتهم، وأنّهم يقبّلون يديها ورجليها استرضاء لها كي تقبل أن تعيش في دارة من داراتهم الفسيحة، ولكنّها ترفض ذلك كي تعيش على راحتها وهواها.

فتكرّر جاراتها من نساء الحارة جملتهنّ السّيمفونيّة اللّواتي اعتدن أن يقفلن بها قصّة صديقتهنّ العانس: "ما شاء الله وكان!"

وقد تتبرّع واحدة منهن، فتضيف جملة أخرى لتعلي من حرارة التّأثّر المزور، فتقول بتقدير مبالغ به: "تستحقين كلّ خير يا سيدة هدى؛ أنتِ أميرة الأميرات، وسيّدة الصّبايا والعرائس، حتى لو بلغت المائة عام من عمركِ".

فتضحك هدى العانس ضحكتها التي تقرقع مثل ماء ينزلق في مزراب، وتكشف عن فمها الأدرد، وتقول برضا: "الله يرضى عن إخواني وأخواتي؛ كلّهم بارّون بي". فتقول جاراتها بصوت واحد كأنّهن في صلاة خلف إمام: "آمين".

(ب)

حقائق العانس

بمجرد حلول الظّلام، تغادر الجارات جلسة الدّكة الاسمنيتيّة بعد أن احتسين على مهلّ وتلذّذ قهوة العانس هدى وقصصها هروباً من برد المساء، حتى ولو كان برداً صيفيّاً مداعباً للبشرة والجسد، عندها تجرجر هدى جسدها المتعب بصعوبة؛ لتدسّ به في غرفتها الصّغيرة بعد أن تغلق بابها الخشبيّ المهترئ الذي توسّلت لإخوانها الواحد تلو الآخر كي يصلحوه لها، فما عبئوا برجائها، ولا بخوفها من أن يقتحمه عليها مقتحم، أو يقتلعه من مكانه مقتلع، وكانوا يكتفون بالسّخرية منها؛ لأنّها تخشى على عرضها ومالها، وهي من باتت دون جمال أو شباب يُرتجى، أو مال يُطمع فيه.

تغسل فناجين القهوة على عجل عاجز، وهي تسند بطنها إلى حوض غسيل الأواني؛ إذ قدماها لا تستطيعان حمل جسدها الهزيل المنكود المحروم، ثم تتكوّم في أريكتها السّرير، وتعدّ النّقود التي استعرضتها أمام جاراتها، وتدسّها من جديد في حمّالة صدرها، وتفتح المصحف الذي تحتفظ به عند مخدّة رأسها؛ لتقرأ فيه حزباً أو اثنين كما اعتادت على أن تفعل كلّ ليلة قبل نومها، وقبل صلاة الوتر التي تختم بها ليلتها التي لا يمكن أن تنهيها قبل أن تدعو على إخوتها وأخواتها بالعذاب والوبال والانتقام الرّبانيّ بعد

أن سرقوا عمرها وشبابها ومالها، ثم تخلّوا عنها عندما كبرتْ وشاختْ وضعفتْ وافتقرتْ، وألقوا بها على قارعة الطّريق، ولولا صدقات المحسنين لماتت جوعاً وعرياً في الشّوارع مثل جرو أجرب لفظه مالكه، ولا تنسى أن تدعو على والدها ووالدتها بعذاب الجبابرة والطّغاة والظّلمة بعد أن منعوها من الزّواج كي تنفق عليهم وعلى تربية أبنائهما الكثر، ثم ماتا على كبر بعد أن أفنت حياتها في خدمتهما في مرضهم العضال الذي نهشهما بلا رحمة لسنوات طوال.

تزمّ شفتيها بدعاء طويل حفظته الغرفة وأثاثها لكثرة ما ردّدته، ثم تخرج صورة مهترئة لحبيب من زمن غابر مرّ في قلبها وجسدها، فزرع فيهما بهجة صغيرة، ثم رحل بعيداً عنها عندما لم يقبل أن يحمل معها حملها المثقل بالأب والأم والإخوة والأخوات، والإنفاق عليهم جميعاً من مهنة صغيرة قليلة المال والكرامة.

تقبّل الصّورة قبلة محرورة لا تستطيع الدّموع أن تطفئ لوعتها، وتدسّها تحت مخدّتها، وتنام في انتظار مساء غد حيث موعد فنجان القهوة المعتاد مع جاراتها في الحيّ لتروي لهم قصص سعادتها وبرّ إخوتها بها!

(٢)

(أ)

أكاذيب الخادمة

أخيراً حصلتْ على هاتف نقّال حديث نوعاً ما، لتستطيع عبره أن ترسل الرّسائل والصّور إلى أهلها في ذلك البلد النّائي عن الحضارة والتّوحّش والمال المحدث الذي أفسد كلّ شيء بما ذلك الإنسانيّة والحضارة كاملة.

عانت كثيراً حتى استطاعت أن تجمع ثمنه ممّا يتبقّى لها من نزير مال راتبها بعد أ ن تحوّل جلّه إلى أمّها التي ترعى ابنيها وإلى زوجها الذي غلبه المرض، فهدّ رجولته وقدرته على كسب قوت يومه، ثم عانت أكثر لتقنع مخدومتها السّمينة اللّئيمة كي تقبل بأن تقتني هاتفاً نقّالاً لتتواصل عبره مع أسرتها في آخر الدّنيا بما لا يعيق قيامها بأعمالها المنزليّة التي لا تنتهي ليل نهار، فقبلتْ مخدومتها بذلك بعد أن علا خوارها، وهي تملي عليها شروطاً مذلّة لا نهاية لها مقابل هذا القبول، فقبلت الخادمة بشروطها جميعاً دون جدال كي تحظى بجهاز اتصّال نقّال يكون ملكاً لها.

والآن باتت تملك هاتفاً نقّالاً جميلاً وردّي اللّون، تلبسه واقياً بلاستيكيّاً على شكل أرنب أصفر اللّون، وتلتقط به صوراً لها بملابس جميلة ورثتها من بنات مخدومتها، أو تلبسها سرّاً دون أن يرينها في أوقات غيابهنّ الطّويل عن المنزل، فتبتسم ابتسامات ممطوطة ومزوّقة، وهي تضع زينة ملوّنة تجعلها تبدو مثل دمية من دمى مواسم الأفراح والمهرجانات، وتأخذ لجسدها وقفات وزوايا تبديه في فرح وكبرياء وسعادة وصحّة موفورة، وتعمد إلى

المناظر الطّبيعيّة الجميلة والأثاث الفخم في بيت مخدوميها وفي بيوت أقاربهم حيث تُصطحب كي تخدم هناك دون توقّف، فتلتقط صوراً لها وحدها دون بشر أو تفاصيل أخرى، فتبدو ملكة متوّجة، وسيدة مشرقيّة ذات نفط وأموال وليالٍ بهيجة، وأحياناً تتعمّد أن تحمل سيوفاً ذهبيّة أو تماثيل نحاسيّة أو أوراقاً نقديّة في يديها لتظهر غارقة في أموال الشّرق ونعيمه وأسراره التي لم يسمع عنها أهلها في الشّرق الأدنى المنكوب إلاّ عبر قصص الرّواة، وأحلام صيّادي الثّروات، وكذّابي متعهدي الخدم الذين يسرقون بنات قريتهم لأجل أن يخدّموهنّ في قصور الشّرق النّفطيّ، فإنّ كنّ على جمال مثير ألحقوهنّ بجواري الرّقيق الأبيض، وقدّموهنّ لأحضان الأثرياء سبايا لإرضاء شهواتهم وجنوحهم وشذوذهم وشبقهم الذي لا يعرف إشباعاً، وإنّ كن دون جمال ألقوا بهنّ في آتون الخدمة والاسترقاق والذّل.

تتخّيل بفرح مزهو كم ستفرح أمّها، وهي ترى صورها المشرقيّة عبر جهاز الاتّصال النّقال الذي اشترته بدفعة من دفعات الرّاتب الذي أرسلته ابنتها لها عبر حوالة مصرفيّة مرهونة بتوقيع اسم مشرقيّ مكتوب على عجل، وهو اسم مخدومة ابنتها، فتعرض الصّور بحنان على حفيديها اللّذين يتكوّمان في كوخها مُهمَلين منذ سافرت أمّهما بعيداً في مطاردة بعض المال لأجل حياة يُشتهى أن تكون كريمة وإنسانيّة إلى حدّ ما، ثم تعرض صور ابنتها التي ترفل في نعيم الشّرق على جاراتها الفقيرات المنكودات اللّواتي يعملن في حقول الأرز والبطاطا ومصانع السّجاد بأجور تشبه السّخرة لأجل أن يوفرن لقيمات الخبز ورشات الملح.

(ب)

حقائق الخادمة

عندما تضربها مخدومتها، فهي تحرص على أن تهبط الضّربات عليها في أبعد نقطة ممكنة من هاتفها النّقال كي لا ينكسر، وعندما تتمدّد محطّمة في فرشتها في قنّها الصّغير الذي يسمونه غرفة الخادمة، فهي تستعرض الصّور السّعيدة التي التقطتها في جهازها في غفلة من معاناتها وألمها وجحيم عملها الموصول ليل نهار، فتتخيّل نفسها أميرة نفطيّة تعيش في نعيم شرقيّ مترف تحفّ بها المباهج والمعازف والمطارف والحشايا والأفراح، وعندها تتعمّد أن لا تنظر إلى جلد جسدها الذي تبقّع وتمزّق وتسلّخ من كثرة ضربها وعملها المضني السّيزيفيّ الذي لا يعرف توقفاً أو انتهاء، وتحاول أن تتناسى صوت اللّهاث الخنزيريّ لمخدومها الذي اعتاد أن يهتك عرضها كلّما لاح له أن يذوق جسداً أنثويّاً هزيلاً، ذلّه الفقر والعوز والخدمة، وأخرسه الخوف والوحدة والضّعف.

تتكوّر في فرشتها، وتتدثّر بدثاره القديم، وتكتب لأمّها في ظلمة غرفتها رسالة المساء بأصابع متعبة تكاد تنسلخ من كفّ يدها، وترسل لها مع الرّسالة صورة لها، وهي تبتسم ابتسامة خيلاء ممتدّة، وتمسك بيدها اليسرى قطف عنب عملاق، وترفع أصبعين من أصابع يديها اليمنى على هيئة علامة نصر مزعوم!

(٣)

(أ)

أكاذيب الزّوجة

لطالما مدح أهلها وزوجها ومعارفها وأنسباؤها حكمتها ورجاحة عقلها وأصالة طبعها ودماثة أخلاقها وسماحة روحها، ولذلك اعتادت أن تكظم غيظها، وأن تبتلع أحزانها وآلامها مهما كانت مرّة علقماً، وما شكت يوماً حزناً لأحد، حتى وإن كان زوجها الذي كانت شريكته في أحمال الحياة طوال أربعين عاماً من التّضحية والإخلاص حتى هدّت السّنون جسدها، وسرق الإخلاص شبابها، ودفنت الحكمة أنوثتها، ولم يتبقَ له منها سوى اسم الزّوجة المخلصّة، وأمّ العيال، وجدّة الحفدة، وما عادت ترى ذكرى أنوثتها إلاّ في صورة زواجها المعلّقة على جدار بارد خلف سريرها، أو في صور شبابها المحبوسة في دفتر الصّور القديم، أو في خاتم زواج ذهبيّ قديم يعلق في إصبعها منذ دهر، ولا يمكن إخراجه من مكانه بعد أن سمن الأصبع، وفاض لحمه على عظمه، وسُدّ طريق الخروج أمام درب خروجه.

أخذت القرارات دون توقّف في مسيرة تاريخ أسرتها؛ فقد أخذت قرارات التّعليم والزّواج والقروض والزّيارات والبناء والانتقال لها ولأسرتها، وأخيراً اضطرّت إلى أخذ قرار تزويج زوجها من امرأة أخرى صبيّة حسناء لتقدّم شبابها وشهوتها لزوجها الذي ما عاد يرى فيها إلاّ هيكلاً آدميّاً أثريّاً مؤسفاً لا يستحقّ إلاّ التّكريم والصّور التّذكاريّة معه، ويورثه الأسى والرّثاء لها ولنفسه.

لقد أخذت هذا القرار بكامل إرادتها ورغبتها بعد أن طال أمد حزن زوجها، وهجر جسدها، وغرق في صمت طويل مقهور، وشرع يتلصّص

على صور المراهقات والنّساء العاريات أو شبه العاريات، فاختارتْ له أن يسكن مع زوجته الجديدة في الشّقة الكبرى من شقق العمارة التي يمتلكها زوجها، ويسكن أبناؤها فيها مع زوجاتهم وبنيهم، واختارت أن تسكن غرفة أرضيّة في العمارة تكفي لها ولضيوف لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة.

وشرعت تنفق حياتها بابتسامة لا تفارقها، وبانغماس كامل في العبادة وانتظار الموت ومراقبة زوجها بسعادة ورضا وفرح، وهو يستردّ شبابه وعمره المهدور بصحبة زوجة شابّة حسناء تنهب منه -دون توقّف أو ارتواء- المال والهدايا والتّدليل والحبّ ثمن غنجها اللّذيذ وتأوهاتها المحمومة وحرارة جسدها وعذوبة ريقها وجمال صحبتها، وطراوة جلدها، وبريق عينيها.

(ب)

حقائق الزّوجة

لقد كرهت كلّ ما يربطها بذاتها الطّيبة الجميلة المحبّة، وكرهتْ كذلك صفات الأصالة والعقل المتّسع والصّدر المتسامح، وألقاب رجاحة العقل ودماثة الخلق وسماحة الرّوح التي حرمتها من زوجها، وضّيعت شبابها، وكافأتها بالحرمان والنّبذ والوحدة نظير إخلاصها ومحبتها وعطائها، بعد أن اضطرها زوجها إلى أن تدفعه إلى حضن امرأة أخرى ما دام بقاؤه في حضنها يعني تعاسته وذبوله وجفاؤه لها.

كانت تحترق في كلّ لحظة، وهي تراقب زوجها ينهض من شيخوخته ويأسه إكراماً لجسد امرأة أخرى، وتصمت مكرهة لتبتلع كلمات الثّناء عليها

من زوجها وبنيها وبناتها ومعارفها وأنسبائها لقاء قهرها، وهي تطعم سعادتها لامرأة غيرها نكالاً لجريمة لم تقترفها، وهي التّقدّم في العمر، وبسبب الإخلاص الكامل لزوجها لأسرتها وواجباتها تجاههما.

كلّ ما تبقّى لها من زوجها وأسرتها عريض احترام لا قيمة له عندها، وهي تنزوي في غرفتها البادرة وحيدة، ولا تملك غير رصيد أموال كثيرة تكوّمت بوفرة في رصيد حسابها بعد سنوات طويلة أدارت فيها حسابات الزّوج والأسرة، ولكّنها لا تعنى لها شيئاً مقابل حرمانها من سيادتها على قلب زوجها، ونومها في حضنه متوّجة ملكة على قلبه وإحساسه.

صمتت تراقب واقعها الجديد المؤلم إلى أن لاكها الحزن ولاكته، وأكل من روحها، ولم تستطع أن تقضم منه ولو قضمة صغيرة، ثم قرّرت -على حين غرّة- أن تلقي بأحزانها ووحدتها بعيداً عنها، وأن تستمتع ببقايا أنوثتها، وأن تبعث ما مات منها على يديّ ذلك الشّاب الوسيم الذي تعرّفت عليه في نادي اللّياقة البدنيّة؛ فهو يمطرها باشتهائه لها، وهي تمطره بمالها الذي يشتهيه بحقّ.

وكلّما رأت زوجها يستردّ شبابه مع زوجته الشّابة الجميلة، طارت إلى حبيبها الشّاب لتفيض عليه بمالها، ويفيض عليها بشبابه وذكورته المتحفّزة وكلمات عشقه المشتراة بباهظ المال، دون أن يفيض عليها بكلمات الثّناء على رجاحة عقلها وأصالتها ودماثتها؛ فتلك كلمات عافتها، كما عافت ما مضى من زمنها المسروق.

(E)

(أ)

أكاذيب الجميلة

ليست جميلة بأيّ مقياس من المقاييس، وإن صمّمت على أن تقيّم جمالها بهذا الشّكل؛ فهي لا ترقى بجمالها كثيراً على جمال قردة كثّة الشّعر حمراء المؤخّرة، ولكنّها على الرّغم من ذلك تصمّم على أن تصف لحبيبها الكفيف جمالها السّومريّ الخالد في كلّ فرصة مواتية لذلك، فتنفرج أساريره كلّما تفنّنت في وصف مفاتنها وسحرها، ويعلوه تيه يشبه احتراق تنين في رأس جبل، وهو يتخيّل أنّ هذا الجمال الآسر هو ملكه وحده دون غيره من البشر.

وكلّما قفزت الخيلاء إلى روحه صهل في جسدها حتى أرواها وارتوى، لا ينفك يدخل في مسامها حتى تنقطع أنفاسها شهوة وشبعاً وفرحاً، عندها فقط يشعر بأنّه أدّى واجبه الفحوليّ تجاه جمالها الخرافيّ الذي قلّما يوهب لامرأة، ويندر أن يسعد به رجل ضرير مثله؛ فليست الجميلات من حظ رجال لا يستطيعون رؤيتهنّ؛ إذ هنّ في الغالب من حظّ اللّئام أو الأثرياء الذين يشترون جمالهنّ بأنهار من المال والجوهر.

عندما يتمدّد عارياً على سريره إلى جانب جسدها الذي تفوح منه رائحة الانتشاء والرّضا والقُبل الملتهبة تحرص على أن تداعب وديان جسده وجباله، وهي تجيّر فحولته العمياء لحساب جمالها السّاحر الذي فاته إن يرى سحره بسبب عماه، فيبتسم لها ابتسامة ملغزة، ويسحبها من جديد إلى جري ممتع في سهوب الانتشاء.

(ب)

حقائق الجميلة

تشكر اللّه الذي ستر قبحها بظلام عيني من تحبّ، ووهب قلبه لها موفوراً كاملاً، فلولا أنّه كفيف البصر ما كان ليرضى بها أن تموء على بابه، لا أن تخلد في جسده وسريره وروحه. أمّا هو فيدرك بقلبه كم هي جميلة الرّوح، وساحرة الإخلاص، وفاتنة الاشتهاء، ولكن لو طاوعه نظره لعاف ملامحها الخاروفيّة، ولزهد بها كما زهد بها غيره من الرّجال.

لم تتردّد ولو للحظة كي تكون امرأته المشتهاة عندما طلبها لنفسه على الرّغم من ظلام عينيه؛ فما حاجتها بعيني رجل تدركان مدى قبحها ودمامتها؟ ومنذ تلك اللّحظة تعيش أجمل تفاصيل العشق والحبّ معه؛ فهو ينزلها في نفسها منزلة ربّة الجمال والسّحر، وهي بدأت تصدّق أنّها جميلة بحقّ ما دام هو يلعق جسدها اشتهاء من مفرق شعر رأسها حتى أخمص قدميها.

هي سعيدة بهذا العشق، وتكاد تنسى أزمة اسمها العينين وما تريان من دمامتها مادام حبيبها لا يستطيع أن يبصر قبحها الشّديد، ويفوتها أن تنتبه إلى أنّ حبيبها ليس كفيف النّظر تماماً، بل هو يستطيع أن يرى بوضوح عن قرب، وهو يرى قبحها بشكل جيّد، ولكنّه يستطيع أن يرى جمالها الدّاخليّ بشكل كامل، ولذلك يدرك جمالها الحقيقيّ لا الزّائف، ولذلك هي امرأته الجميلة الفاتنة حتى ولو لم تكن جميلة الملامح، لكنّها جميلة الحبّ والرّوح والعشق والشّهوة.

(٥)

(أ)

أكاذيب العروس

ليست سعيدة لأنّها ستترك مدرستها وكتبها وأترابها وبنات الجيران اللّواتي اعتادت على اللّعب معهنّ، ولكنّها تحاول أن تفتخر بأمّها وأبيها وأخيها الكبير وثوب زفافها ودورها المقدّس الذي ستقوم به كما تسميّه أسرتها؛ هي لا تفهم تماماً معنى هذا الدّور المقدّس أو حتى معنى كلمة مقدّس، ولكنّها تدرك أنّ ما عليها أن تقوم به هو عمل جبريّ يُدخلها الجنّة، ويرضي الرّب عنها مثل الصّلاة والصّوم وإطاعة الأبوين والابتعاد عن اللّعب مع الصّبية الذّكور لا سيما إن كانوا لطيفين ووسيمين، هكذا يكون إرضاء الرّب كما أفهمها أخوها بعد أن ضربها يوماً ضرباً مبرّحا بحزام بنطاله لأنّ أحد الصّبية في الحارة أهداها زهرة ياسمين فوّاحة، وهمس لها بكلمة إطراء وودّ وإعجاب بوجهها البدريّ البريء.

من يومها باتت تخشى غضب اللّه الذي يحلّ عليها عبر حزام بنطال أبيها أو أخيها الذي يمزّق جسدها، أو عبر عقاب أمّها لها بحجّة أنّها أمّ وطاعتها من طاعة الرّب مهما غالت في الطّلب، وبالغت في تعذيبها وإهانتها.

هي لا تفهمهم أبداً، ولا تفهم ربّهم الذي يصورنه لها على شكل قوّة جبّارة مكرّسة للضّرب والتّعذيب والانتقام والبطش، ولكن ليس لها إلاّ أن تطيع الجميع، وأن تطيع ربّهم ما دامت ضعيفة وحيدة مهيضة الجناح.

وإرضاء للربّ كذلك وافقت على الزّواج من ذلك العجوز الغريب الذي هبط فجأة على حيهم برفقة سماسرة الزّواج، واشتراها بمال جمّ، وحزمها كما تُحزم البضائع في الصّناديق بعد أن سامها كما يسوم نعجة في سوق البهائم، ثم استوقفه فيها بروز كمثري في ثدييها وتكوّر أجاصي في ردفيها، فقرر أن يشتريها ليقضمها وفق ما يشتهي أن يلتهم.

أمّها قالت لها إنّها سوف تُرضي الله ووالديها وأسرتها بهذا الزّواج، وهي تخاف غضب الله عليها إن رفضته، وتخاف كثيراً حزام أخيها إن تجرّأت على الرّفض بعناد، وقالتْ بملء صوتها الطّفوليّ الرّافض: لا.

وتخشى أن تتذكّر أختها الكبيرة التي نحرها أبوها وأخوها كما ينحرون ذبيحة؛ لأنّها أسلمت جسدها لفتى تعشقه. قالوا لها عندها: إنّ أختها الكبرى قد تزوّجت، ورحلتْ إلى البعيد حيث لا رجعة، لكنّها تعرف تماماً أنّهم قد دفنوها مذبوحة في أرض الحظيرة، وتركوا البهائم تبرطع فوق تراب هِيل على عجل فوق جسدها الرّقيق.

الآن هي سوف تذهب للجهاد مع زوجها في مكان ما، سوف ترضي الرّب، وتعيش وفق ما يشاء. هذا ما أخبرتها أمّها به، وهي تهمس في أذنها الصّغيرة قبل أن تسلمها بضاعة مشتراة لزوجها العجوز العجل، وتقول لها: "لا تتعبيه، سلّمي نفسك له بسهولة ويسر كي تدخلي الجنّة، ويرضى الرّب عنكِ، ولا تلعنكِ الملائكة".

(ب)

حقائق العروس

لم يطل الأمر بها كثيراً حتى أدركت أنّها عروس لرجال كثيرين، لا عروسه له وحده، وأدركت أنّ الله ليس شريكاً في أيّ معادلة قد أُقحمت فيها رغم أنفها الصّغير المكسور، وما عادت تبالي برضا والديها أو أخيها مادامت هي غير راضية عمّا تعيشه، وما عاد في نفسها أيّ معنى لقدسيّة الجهاد المزوّر إن كان ذلك يعني أن تعمل مومساً بالإكراه، وتبذل جسدها جبراً لرجال متوحشين لا يعرفون الله، ولا يعرفون معنى الجهاد، ولا عاد للشّرف معنى ما دامت قد بيعتْ رقيقاً في سوق نخاسة الزّواج، وما عاد يخيفها سكين والدها أو حزام بنطال أخيها اللّذين يقيسان شرفهما بجسد طفلة ذبحوها لأنّها أحبّت صبيّاً ما، ويسمّون أنفسهم أشرافاً وهم من باعوا ابنتهم الصّغيرة في أسواق نخاسة اللّصوص والمجرمين والقتلة.

الآن هي لم تعد طفلة ولا عروساً ولا خائفة ولا عابدة ولا ذاهبة إلى جحيم أو نعيم، هي الآن مجرّد طفلة سرقوا لعبتها ومدرستها وكتبتها وبراءتها، وباعها أهلها لمن يشتري جسدها بأعلى سعر ممكن، فتناوب عليها رجال وحوش ينهشون جسدها، ويشربون ماء شهوتها ودموعها وعرق خوفها.

الآن تشعر أنّها أصبحت عنقاء مقدّسة عندما ذبحت زوجها القوّاد، وهو يغطّ في نوم عميق مثل خنزير شره، وسمّمت طعام أولئك الرّجال الذين يتناوبون على اغتصابها هي ومجموعة كبيرة من النّساء السّبايا في حروب الزّواج والجهاد والمال.

هم جميعاً يرحلون الآن إلى الجحيم الذي تجزم بوجوده عند إله عادل رحيم لا تعرفه أمّها أو أبوها أو أخوها، ولم يذكروه لها في حكاياتهم الكاذبة عن إله يتواطأ معهم في أعمال الشّر والظّلم.

تصرخ بالفتيات اللّواتي حررتهنّ من أسرهنّ ليصلن إلى أبعد نقطة آمنة عن معسكر الرّجال الوحوش الذين سمّمت طعامهم سرّاً، وبصقت في ماء شربهم، وباتت تداعب روحها بأمنية واحدة لا غير، وهي حياة شريفة بحقّ دون خوف أو سياط أو اغتصاب أو إله يقبل بالظلّم وفق حكايات الظّلمة تجّار البشر.

(٦)

(أ)

أكاذيب الحرّة

هي قد حصلّت أرفع تعليم في أعرق جامعات العالم على الرّغم من رفض أسرتها لتعليمها وسفرها؛ فقد كانت أوّل أنثى في أسرتها تقرّر أن تنتفض على منطق خنوع الدّجاج، وتجأر بصوتها معلنة أنّها ليست دجاجة، بل امرأة كاملة الحريّة والعقل، ولها حقّ الحياة والاختيار والرّفض وتقرير المصير واختيار مآلات ذاتها.

لم يعجب هذا الأمر أسرتها أو سكّان عالمها، ولكنّها تحدّتْ ذلك كلّه، وطارت نحو سماوات الحريّة، وأخذت حرّيتها، وحطّمت أغلالها، وباتت كاتبة شهيرة، وحقوقيّة لها بصمتها في المجتمع الدّوليّ، وصوتاً حرّاً له خياره الكامل.

هناك في البعيد بدأت حياتها مثل دجاجة دائخة عرجاء هربت من قنّها على غير هدى، دون أن تعرف أيّ طريق عليها أن تتخذ في دربها، ولكنّها سريعاً ما اكتشفت أنّها إنسانة لا دجاجة، وبدأت تكتشف حقوقها وقدراتها، وآمنت بنفسها، وحقّقت كلّ ما حلمت بتجريبه؛ لقد تعلّمت أكثر من لغة، وصرخت في المظاهرات ضدّ قوى الظّلم، وجاعت لتتبرّع للجائعين ببعض طعامها، ورقصت تحت المطر، ورأت الله يتجلّى في العدل والحريّة، وقرأت الكتب دون توقّف، وسمعت أصوات المعابد والكنائس والمساجد، وضحكت في الطّرقات دون خوف أو تخويف من عورة أو فتنة أو عقاب أو جلد.

الآن هي حرّة تماماً، حرّة كما أرادت، وحرّة كما يراها كلّ من حولها، ولها أن تصيح متى تشاء، وكيفما تشاء، وفي وجه من تشاء: "أنا حرّة، ولستُ دجاجة في قنّ أيّ ديك كان".

(ب)

حقائق الحرّة

عندما عادت إلى أرض الدّجاج كان كلّ شيء ضدّ إنسانيتها وحرّيتها؛ ذلك الرّجل المشرقيّ الذي أحبّته في عالم البحيرات والحريّة، وآمنت بفكره، غدا ديكاً أحمق بمجرد عودته إلى أرض الدّجاج، وإلى حضن أمّه الدّجاجة العتقيّة السّمينة، فأرادها أن تُختزل في دجاجة مطيعة له، تبيض له بيضات ذهب من وظيفتها، وتسلّمه كلّ قرش تحصل عليه دون اعتراض، فتركته، وتركت بعده رجلاً ثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً...وخمسين؛ لأنّها لا تريد أن تكون دجاجة سحريّة تبيض ذهباً لأيّ ذكر كان لمجرد أنّه يسافدها، أو له علاقة بها؛ وبذلك أصبحت عانساً، ولكن حرّة بشكل كامل.

لكنّها سرعان ما أصبحت دجاجة ولو نسبيّاً في عالم كلّه دجاج أحمق جبان؛ ففي الدّولة عاشت دجاجة راضية بالقمع والاستغلال والاضطهاد، وفي المؤسّسة التي تعمل فيها عاشت إنسانة حقيقيّة لمرّات كثيرة، وهي تخوض حروباً موصولة لأجل الاحتفاظ بذلك، وعندما تعبت من كثرة الحروب والتّقاتل، قبلتْ بأن تعيش دجاجة بشكل مؤقّت في عملها، على أمل أن تعيش إنسانة حرّة في حياتها الخاصّة والحقوقيّة خارج عملها، ولكنّها وجدت نفسها تخسر نفسها جزءاً بعد آخر، وهي تنفق على إخوانها وأخواتها وأسرتها وأقاربها الرّجال كي لا يعترضوا على حرّيتها وسفرها

وعملها، وتضمن بذلك الإنفاق عليهم عسى أن يخرس المال أفواههم التي لا تنفك تطلب المزيد منه، واضطرّت كذلك إلى أن تقبل بدور الدّجاجة في اختبارات كثيرة كي لا تُقتل أو تُعتقل أو تُغتصب أو تُسجن أو تُطرد من عملها ووطنها، أو تلفّق لها فضيحة ما.

الصّراع الطّويل الذي عاشته كي تثبّت حقيقة أنّها إنسانة حرّة لا دجاجة جعلها تنسى بالتّدريج جملتها الشّهيرة التي ترفعها شعاراً لحياتها، وتقولها بفخر واعتزاز أنثويّ عميق مضمّخ بالرّفض، ومعطّر بالكرامة: "أنا حرّة، ولستُ دجاجة في قنّ أيّ ديك كان".

(٧)

(أ)

أكاذيب السّاحرة

كان من الممكن أن تكون طفلة رتيبة، وامرأة اعتياديّة لو لم تنفث جدّتها السّحر في فيها، ولم تعلّق قلادة رئاسة السّاحرات في رقبتها، ولم تلقّنها تعويذات السّحر الأكبر، وبذلك كلّه ورثت إرث السّحر من جدّاتها السّاحرات، وورثت منهنّ أسرارهنّ وكنوزهنّ وتعاويذهنّ، وباتت تعرف أسرار الوجود والعدم، وتقدر على ما لا يقدر عليه بشر أو جان، وتحكم كما تشاء فيمن تشاء، وتُخفي الكثير من حقائق وجودها عن البشر الفانين؛ فهي متزوّجة من سلطان الجان، ولها تسعون ابناً من فوارس الأرضين السّبع، وعندها كنوز لا حصر لها، وتعيش ليلاً في قصر بناه جنود النّبي سليمان، وعاشت فيه بلقيس ردحاً من عمرها، وخلف عجزها وتجاعيد وجهها هناك فاتنة ساحرة يتجلّى جمالها في لباسها المصنوع من الماس واللّؤلؤ عندما تعود إلى قصرها السّريّ لتلتقي بزوجها وأبنائها الذين يخدمهم جيش من حور العين وفرسان العالم الأزرق.

أمّا في النّهار فهي تعيش حياة تنكريّة؛ إذ تعيش في هيئة عجوز معدمة، وتسكن كوخاً حقيراً، وتقتات على هدايا من يقصدها لتصنع تميمة له، أو تفكّ عنه سحراً شريراً أصابه؛ فهي أقسمت قسم السّاحرات أن تعيش حياتهنّ في النّهار، وأن تعيش سلطانها وجبروتها في اللّيل.

(ب)

حقائق السّاحرة

تشيعُ تلك القصص الوهميّة عن مفارقات نهارها وليلها، وعن جمالها وغناها وسحرها وقدراتها كي تجذب إليها الحمقى من الموهومين والمكروبين والطّامعين والضّعفاء كي تلقمهم شعوذاتها وأوهامها ورقاها الباليّة طمعاً في أموالهم كثرت أم قلّتْ؛ فهذا أفضل من أن تموت جوعاً، وهي العجوز الوحيدة العانس التي لم تتزوّج، ولم ترث من أحد من سلالتها شروى نقير، ولم تملك أيّ موهبة أو دراية أو مهنة أو حرفة أو وسيلة اعتياش؛ ولذلك أشاعت قصصها الموهومة عن إرث جدتها، وعن قدراتها السّحريّة، وباتت تبيع الأوهام للنّاس الذين يقصدونها، وتتمنّى في سرّها لو أنّها تملك بحقّ أيّ قوّة أو سلطان أو سحر يجعلها تعيش العوالم التي يشيع بين النّاس أنّها تعيشها.

وفي أوقات فراغها، وكثيراً ما كان عندها أوقات فراغ وملل ووحدة، كانت تبحث دون توقّف عن ساحرة مجيدة تستطيع أن تعمل لها سحراً يعطيها الجمال والمال والحبّ والحبيب والأبناء التّسعين فرسان الأرضين السّبع!

أكاذيب العدالة

أكاذيب العدالة

ليس للعدالة أن يكون لها أكاذيب؛ فهي خُلقت للحقيقة!

(1)

خارج العدالة

هي ترفض الزّواج به، وتلعن صلة الدّم التي تجعل منه ابن عمّ لها، وتربطه بها بشكل قدريّ، وتزيد من طمعه الكليّ في إرثها المنتظر من والدها عندما يفارق الحياة.

هي ترى في عينيه من الغدر والطّمع والخيانة ما كان يرفض أهلوها أن يروه في عينيه؛ لأنّهم يؤمنون بوشائج الدّم أكثر ممّا يؤمنون بخصال البشر ونوازعهم وتفاوت مشاربهم.

لقد خطبها من والدها وإخوتها لأكثر من مرّة، ولكنّها رفضته بإصرار وعناد، وأدارتْ له ظهرها غير آبهة به أو بحبّه المكذوب أو بصلّة الدّم التي تربطهما بتعس القرابة إلى أبد الآبدين، محطّمة آماله بأن يضع يديه على حصتها من إرثها من أبيها، ولكنّه لم يقبل بهذه الخسارة، أو بهذا الرّفض المهين لرجولته المتضخّمة مثل درن سرطانيّ، وقرّر أن يتزوّجها قهر أنفها المتعالي الجميل، لكنّها رفضته من جديد بإصرار حديديّ أرغم أهلها على الانصياع لرغبتها، والتّسليم برفضها له، لكنّه لم يرضَ بذلك، وقرّر أن يتزوّجها بقوّة القانون، وسطوة الجريمة.

كان الأمر أسهل ممّا تخيّل، اغتنم فرصة بقائها وحدها في بيتها، واغتصبها بكلّ سهولة وسطوة بعد أن استفرد بها، قاومته بشدّة، لكنّه كان أقوى منها جسداً وفتكاً، وبذلك حظي ببكارتها، وثم سلّم نفسه للشّرطة معترفاً بجريمته، ومعلناً أنّه على أتمّ الاستعداد للزّواج بها وفق ما يقرّه القانون من حقّ المغتصب بالزّواج ممّن اغتصبها؛ وكأنّ القانون مفصّل بعناية لخدمة المجرم لا لمعاقبته؛ إذ يهب الضّحية المغتصبة هدية مجانيّة لمغتصبها.

(٢)

دون عدالة

رفضتْ بإصرار أن تعيش مع من اغتصبها حتى ولو زفّها القانون له زفّاً، ورفضت أن تنكّس رأسها أمام أهلها خجلى محمّلة بالعار، وهي المعُتدى عليها والمغدورة، وصمّمت على أن يأخذ والدها وإخوتها بثأرها من ابن عمّها، وأن يلقوا به في غياهب السّجن جزاء جريمته النّكراء في حقّها.

لكن لا أحد سمع صوتها المنادي بالعدالة؛ فنساء العائلة أسمينها الوقحة ونبذنها، ورجال العشيرة عدّوها وصمة عار في تاريخ عوائلهم، وثمرة اغتصابها باتت تتحرّك في بطنها معلنة عن قدوم طفل غير شرعيّ من علاقة سفاح؛ فبات الجميع يضغط عليها من أجل الزّواج بابن عمّها، ومحو قصّة اغتصابها من ذاكرة تاريخ الأسرة، ولكنّها أصرّت على إجهاض هذا الطّفل، وعلى معاقبة ابن عمّها.

عندها اجتمع رجال أسرتها، وقرّروا بكلّ رجولة صدّاحة، وعدالة صارمة أن يذبحوها؛ لأنّها جرّت العار عليهم بحملها السّفاح، ورفضها الزّواج بمن اغتصبها، وخسارة امرأة أهون من خسارة رجل في عرف القبيلة وتعداد الخراف، فقتلوها بدم بارد، ومحوا عارهم بطريقتهم الخاصّة، وخرج ابن عمهام من السّجن يستقبله الأهل، وينعتونه بالحصان الأصيل الفحل الذي أينما اشتهى نطّ!

(٣)

للعدالة وجوه كثيرة

ذلك الموظّف الفقير المسالم كان يعدّ وظيفته المتواضعة كنزه العظيم، ورمز كرامته وكرامة أسرته، وفضلاً عريضاً مَنّ الله عليه به، لم يرد وظيفة أكبر، ولم يطمع في راتب أكبر، ولم يبحث عن أيّ طريقة للانتفاع منها بطريقة غير مشروعة، كان يكفيه أن يعود إلى بيته سالماً آمناً يحمل لأهله القوت الحلال، والصّيت الحسن، ولكنّ ذلك المسؤول الفاسد سرق صيته الحسن، وسمعته الطّيبة، وورّطه في جريمة ملفّقة كي يتخلّص منه، ولا يكون شاهداً عليه في صفقاته المشبوهة، لكنّه ظلّ يؤمن بعظمة العدالة، وصوت القانون، إلى أن ساقته دروب القضاء إلى ذلك القاضي المرتشي الذي باعه بأرخص الأثمان، واشترى بثمنه طوق ماس لعشيقته البغيّ.

عندها فقد الموظّف المُفترى عليه كرامته وحرّيته وسمعته ورضاه وقناعته وقوت بنيه وإيمانه بالعدالة الأرضيّة، ظلّ يبتسم بسخرية وهو خلف قضبان اللاعدالة، وهو يسمع ذلك القاضي يردّد في لقاءات تلفزيونيّة معه: "للعدالة وجوه كثيرة".

(٤)

عدالة اللّصوص

هو أكبر لصّ في الدّولة، المسؤولون جميعاً يعرفون أنّه لصّ، ولذلك يتمسّكون به، ويرقّونه من منصب إلى أرفع؛ فدولة اللّصوص تتمسّك بلصوصها، وتحتفي بهم، وهو فضلاً عن ذلك يملك أرشق قلم موهوب في مديح العدالة والإخلاص والعفّة والنّزاهة ونظافة الأيدي والذّمم والضّمائر، على الرّغم من أنه مبدع في توسيخ كلّ ما تصل يداه إليه.

قرأ عن تلك المبادرة الدّوليّة عن العدالة والعفّة والنّزاهة، فراقتْ له الشّعارات المقرونة بهذه المبادرة، وطمع في قيمة الجائزة التي ترافق تلك المبادرة، فكّر قليلاً لا كثيراً كيف يظفر بها، وقرّر ساخراً أن يرصد سرقاته جميعها، وكيفيّة القيام بها على سبيل أنّه يسجّل ضروباً من الفساد والسّرقة يجب الحذر منها.

وفعلاً قام بذلك، وحظي بالجائزة المرصودة لأفضل موظّف نزيه في دولة اللّصوص!

(٥)

موت العدالة

هامت العدالة على وجهها، صكت وجهها فزعاً وفجيعة، رفضت بإصرار أن تكون لها وجوه متعدّدة؛ فللعدالة وجه واحد، وهو العدالة المطلقة، ولا ينبغي لها أن تملك وجهاً آخر غيره.

عندما صمّموا على يلبسوها وجوهاً متعدّدة، نحرتْ نفسها، وذهبت إلى القبر متمسّكة بوجهها الأزليّ مهما تطاول المتطاولون عليه، وحاولوا أن يزيّفوا ملامحه، أو أن يزيّفوها.

أكاذيب مباحة

(1)

أكاذيب مشرعنة

المسيح الفلسطينيّ

يمدّون أياديهم الصّلفة ليصافحوا اليهود الصّهاينة، يعاهدونهم على مدّهم بالسّلاح والدّعم كي يبيدوا الفلسطينيين الثّوار، يزعمون أنّهم مسيحيون مؤمنون، ويعدّون العدّة لليهود كي يقتلوا مسيحيي فلسطين قبل مسلميها.

يعلنون في الإعلام من البيت الأبيض إنّهم في دعم اليهود، ويقرعون كؤوس الخمر فرحاً بانتصارهم لقتلة المسيحيين، يديرون ظهورهم لتمثال المسيح الفلسطينيّ الذي يذرف دموعه سخيّة حزناً على قتله من جديد على أيدي مسيحيي العالم، ويظلّ مصلوباً في باحة البيت الأبيض.

في اليوم الثّاني يُعلن عن موت تمثال المسيح الفلسطينيّ الذي تمّ اغتياله من جديد في غرفة من غرفة البيت الأبيض.

بطل

لم يسعَ يوماً إلى أن يكتب اسمه مع الأحياء أصحاب الأضواء؛ لأنّه آمن بفطرته القرويّة النقيّة الأصيلة بأنّ الأبطال يموتون بصمت، ولا حاجة لهم بالضّوضاء والإضاءة الفضّاحة.

الأبطال كلّهم الذين آمن بهم، ورافقهم في درب الدّفاع المسلّح عن فلسطين قد رحلوا بصمت كما يرحل الأبطال جميعهم، إلاّ هو استبقاه الموت بإصرار لسبب يجهله.

يرفض أن يمدّ يده إلى أيّ جهة رسميّة أو إنسانيّة ليقول لهم: "أنا فدائيّ عتيد من الفدائيّين الأوائل، وقد هجرتني صحتي بعد تقدّمي في العمر، ولا مال أو معين لي، وأحتاج إلى راتب أو عون موصول".

يمرّ من أمام بيوتهم الفارهة، هو لم يرَ وجهاً من وجوههم في درب البطولة والفداء، تنبح كلابهم عليهم نبحاً موصولاً، ويدفعه حرّاسهم عن أبوابهم الحديديّة العملاقة، وهو من يمرّ بقصورهم في درب عودته إلى بيته الكئيب الذي يفضّله على مبانيهم المشيدة.

يعاتب يده التي تفكّر في أن تستجدي، ويهدّدها بالقطع إن فعلتْ ذلك، وينذر صياماً للأبد دون إفطار، ويمضي متعملقاً على الجوع والكلاب والحرب والأبطال الورقيين الذين صنعتهم الأقدار على حين غرّة.

ثمن

كلّ ما فعله في حياته كان لسبب واحد، وهو تحرير وطنه، لكنّه منذ أن أصبح مسؤولاً رسميّاً يلبس البذلات الفرنسيّة، وينتعل الأحذية الإيطاليّة، ويسكن الدّارات ذات المداخل الرّخاميّة، ويركب السّيارات الفارهة المظلّلة النّوافذ بالسّواد الحاجب، ويتبختر في بلاد الدّنيا على نفقات المعونات العالميّة لتحرير وطنه، ويتاجر بنكبات شعبه المعذّب، غدا يفعل كلّ شيء ليقبض ثمن ما فعله لأجل تحرير وطنه.

(٢)

أكاذيب مشروعة

اللّعنة

قالت العرّافة لأمّها عندما ولدتها: "إنّها مصابة بلعنة لن ترحل"، ثم مضت العرّافة مبتعدة نحو البعيد دون أن تعرّفها بسرّ تلك اللعنة.

كمنت اللّعنة في الطّفلة الوليدة ذات العينين اللّغز دون حراك إلى أن استيقظتْ مع أوّل كلمة كتبتها في حياتها؛ فأصبحت اللّعنة كابوساً عندما شرعت كلماتها تصبح حقيقة عندما تكتبها؛ كتبت عن الألم والوحدة والجوع والحرمان والعذاب، كما كتبتْ عن الحريّة والعدالة والفرح والحبيب والعدل والسّعادة والمحبّة، استيقظت كلماتها جميعاً، امتلأ العالم بالمزيد من الجمال والقبح، وكثرت الصّراعات فيه، ولكنّها ظلّت تمارس لعنتها، تكتب دون توقّف حتى تنتصر الحكايات الجميلة، وفي لحظة رضا كتبت نهاية جميلة تليق بها، ودخلت إلى قصتها الحلم، وعاشت فيها منتظرة أن تصبح حقيقة، وظلّت ملعونة بكلماتها.

سِيَر

هو يجيد أن يعيش حياة غيره لا حياته، يحفظ السّير بإتقان، ويخلق منها عوالم لا يمكنه أن يعيش فيها لينسى عوالمه القاتمة؛ يحفظ سيرة بطل خارق مجيد لينسى أنّه يُصفع ليل نهار في عمله وبيته ووطنه، يحفظ سيرة شاعر مجيد مفوّه يصطنعه الملوك، وتعشقه الشّعوب؛ لينسى أنّه أبكم نفسه

بنفسه كي ينجو من جرائر السّؤال والجواب، يحفظ سيرة عاشق يتنعم بالحبّ، لينسى أنّه يكسر عينيه أمام أيّ امرأة كي لا تلاحظ ضآلة جسدة، وقتامة فقره، وقلّة حيلته، يحفظ سير الأنبياء والصّالحين ليتوهّم أنّه مقرّب أثير من السّماء ورضاها، يحفظ أوهام الموهومين لعلّه يظفر ببعض الصّبر حتى ينتقل إلى عالم الموت الذي يحفظ سير أبطاله وأسياده الذين لا ينتمي لهم كذلك!

أقوال مأثورة

حياته مجموعة من الأقوال المأثورة التي يعلقها على حائط غرفته؛ "الجنون هو منطق العالم المخبول"؛ ولذلك لم يمارس فعلاً واحداً عاقلاً في حياته، "الحيرة هي السّيرة المشتركة للباحثين عن الحقيقة"؛ ولذلك هو يجيد الضّياع والتّسكع، "الفنّ هو صوت الحرمان"؛ ولذلك يحترف رسم ألمه على شكل ألوان بهيجة، "ما أعدل الظّل؛ إنّه مكان حنون للمنكودين"؛ ولذلك يصمّم على الحياة اللّيليّة، ويبتعد عن الضّوء، "الإبداع الحقيقيّ لا يصنعه إلا حبّ عظيم"؛ فيحبّها بصمت، " أن تتألّم كثيراً يعني أنّ قلبكَ كبير أكثر ممّا يجب"؛ يعزّي نفسه بيأسه من القرب من المرأة التي يحبّها، "جبان من يقبل بغير الحياة التي يشتهيها" يطلق الرّصاص على نفسه؛ لأنّه أشجع من أن يعيش حياته المهزلة!

تخريصات

تخريصات

"لا قيمة للحقيقة في عالم الكذّابين"
"في رواية كاذبة جداً: ذكروا أنّ الكذب منجاة وهناءة وراحة بال".
"حسن كامل هو فقط من يعرف حقيقته"

من صفر إلى صفر

الحقيقة التي لا يريد أن يصدّقها أيّ مكذّب

"لا يعرف من أسماه حسن كامل، ولا يعرف لِمَ هذا التّركيب العجيب في اسمه، كذلك لا يعرف لماذا يضحك بملء فيه كلّ من يسمعه ينطق اسمه بتلك الطّريقة المهترئة التي تخرج بصعوبة من بلعومه المختنق بالبلغم والتقرّحات التي تلازمه، ولكنّه يعجز عن أن يشرح لأيّ أحد كم هو حزين ووحيد وموجع وتائه في دنيا لا يعرف فيه أهلاً أو نسباً أو قرابة أو أسرة أو ماض أو مستقبل، كلّ ما يعرفّه أنّه حسن كامل الذي يزدريه النّاس، ويتّخذه الأطفال ألعوبة لهم، ويدمونه بالحجارة والكلمات الجارحة التي يمطرونه بها كلّما مرّ في الزّقاق والعرصات.

لقد كبر في الشّارع، ولا يذكر إن وُلد في الشّارع كذلك، ويجهل كلّ شيء عن نفسه سوى أنّ اسمه حسن كامل، ويجهل كذلك –لحسن حظّه ومديد عتهه– أنّه قبيح ومنقوص في تكوينه ووجوده وحظوظه.

عندما يحظى بالقليل من الطّعام الدّافئ الطّازج مع قليل من الماء البارد يشعر بأنّه يملك الدّنيا وما فيها، فينحاز إلى جدار منزو أو ظلّ بعيد أو خرابة مخفيّة ليأكل طعامه الحنون في عالم قلّما يجود عليه بأيّ حنان أو رحمة أو رأفة، وهو في الغالب لا يفعل ذلك إلاّ عندما تعطيه أمّ ما فائضاً من

طعام أبنائها، أو يعطيه خادم البواقي من طعام حفل ما، أو عندما يمرّ به مراد ذلك الشّاب الحنون مفتول العضلات متّسع القلب والابتسامة الذي يشتري له الطّعام في طريق عودته إلى البيت، ويغدق عليه من حنانه، ويتوقّف عنده ليسلّم عليه مصافحاً له، حتى ولو كان في رفقة أصدقاء له أو أقارب".

تخريصة من ١ إلى ٢

من المعتوه معسول الأعور إلى مروان ساكن المزبلة

"حسن كامل هذا أكبر دجّال في هذه المزبلة، بل وفي المزابل جميعها في هذا العالم؛ هو ليس مسكيناً كما يزعم، بل هو يخفي خلفه سرّاً عظيماً؛ بعيني هذه الوحيدة العزيزة عليّ رأيته يلتقي بذلك المشاغب الذي اسمه مراد، فيقف معه هناك في الخرابة خلف سوق الخضار القديم، ثم يأخذ منه الطّعام والمال، ويعطيه لفافة من الأوراق المطويّة بعناية".

تخريصة من ٢ إلى ٣

من مروان ساكن المزبلة إلى مأمون فتى الخدمة في مقهى البلدة

"أؤكد لك يا سيد مأمون أنّ حسن كامل شخصيّة خطيرة، وتخفي أسراراً قاتلة، بعيني هاتين رأيته في أكثر من لقاء مع المشاغب مراد، كانا عندها يتّفقان على شيء مريب؛ كان حسن كامل عندها يتكلّم بطلاقة، ولا يتلعثم كعادته، وكان يهمس في أذن مراد من وقت إلى آخر بكلام سريّ، ثم

قدّم له حافظة الكترونيّة صغيرة، فيما كان ذلك الرّجل الضّخم الـذي يرافـق مراد يراقب المكان بقلق، ويخفي عينيـه خلـف نظّـارة سـوداء ذات عدسـات ضخمة، وإطار معدنيّ كبير".

تخريصة من ٣ إلى ٤

من مأمون فتى الخدمة في مقهى البلدة إلى أمّه جليلة المفترية

"والله العليّ العظيم أنّني أخشى علـى ابـني مـأمون مـن الـذّهاب إلى ذلك المقهى؛ فالـدّنيا آخـر وقـت، والأدهـى والأنكـى مـن ذلـك أنّ واحـداً مستهبلاً مثل حسن كامل يزرع الرّعب في المكان، ويخدعنا جميعاً؛ إنّه يتعامـل مع رجال فكر متحرّرين يدعون إلى خراب البلاد، وزرع الفوضى بين العبـاد بحجّة الحصول على الحريّة.

من قال له إنّنا نريد هذه الحريّة؟ حسبنا الله ونعـم الوكيـل في مـراد الوحش، وحسن كامل الأهبل المستهبل".

تخريصة من ٤ إلى ٥

من جليلة المفترية إلى أم حسونة الخيّاطة

"بصراحة يا أم حسّـونة مـا عنـدي أيّ رغبـة في شـرب قهـوة الصّـباح سويّاً؛ فأنا مشغولة البال والذّهن، ومنزعجة انزعاجاً يكاد يخنقني؛ وذلك كلّه بسبب الأهبل اللّئيم حسن كامل الذي يتآمر على الوطن والأهـل والشّـباب

ومستقبل البلد بتعاونه مع عصابة كوّنها الشّاب مراد الذي جاء من المجهول ليجرّ الويلات والدّمار علينا وعلى أبنائنا".

تخريصة من ٥ إلى ٦

من أم حسّونة الخيّاطة إلى جاراتها في العمارة في الاجتماع الأسبوعيّ لأكل الفطائر والمعجّنات

"أقسم بسمعتي المهنيّة وبأصابعي الذّهبيّة هذه التي خاطت الملابس الجميلة لكلّ صبايا الحيّ وعرائسه أنّ هذه الفطائر هي ألذ ما أكلتُ في حياتي.

ولكن أخبار الإرهابيين حسن كامل و مراد ومن معهم في العصابة تمرمر كلّ حلو في فمي؛ فهم جميعاً يدبّرون لمكيدة خطيرة ضدّ الوطن. لقد سمعتُ ذلك من زوجة أحد المسؤولين التي تخيط ملابسها عندي، لقد أخبرتني بأنّ تفجيرات مرتقبة من تدبير تلك العصابة الظلاميّة سوف تصعق البلدة.

كم قلتُ لكم مراراً وتكراراً إنّ علينا أن نطرد هذا الأهبل النّحس حسن كامل من البلدة، ولكنّكم كنتم تتعاطفون معه، وتتهاونون في الضّرب على يديه حتى تغوّل، وأصبح وحشاً يهددنا جميعاً، وكلّ ذلك لأجل الحريّة والعدالة التي يطالبون بها. من قال لهم إنّنا نريد هذه الحريّة وتلك العدالة؟"

تخريصة من ٦ إلى ٧
من أم حسّونة الخيّاطة إلى دلال السّايبة خادمة زوجة مأمور الشّرطة في البلدة

"يا سيدتي، أقسم بشرفي المصون على أنّني أقول لكِ الحقّ الذي كنتُ شاهدة عليه بتفاصيله جميعها؛ ذلك الشّرير حسن كامل وعصابة مراد المجرم باتوا يسيطرون سرّاً على المناطق السّكنيّة في البلدة القديمة، وهم يؤلّبون الشّباب الصّغار على الدّولة والنّظام، ويقنعونهم بالانتساب إلى ثورتهم المطالبة بذلك الكفر الذي اسمه الحريّة والعدالة، وقد حوّلوا المزابل جميعها إلى ثكنات للتّدريب العسكريّ للمنخرطين في صفوفهم من المشاغبين والمخرّبين.

سيدتي الكريمة، يجب أن تخبري سيّدي المأمور بهذه الوضع الخطير، ولا تنسيني من بركاتكم وعطاياكم؛ فأنتم كرماء، وأنا أستحقّ عطاءكم الموصول. لا حرمنا الله منكم، ولا من رجال الدّولة الميامين".

تخريصة من ٧ إلى ٨
من زوجة المأمور إلى زوجها سند الضّبع

بعد أن أخبرتكَ يا زوجي الحبيب بهذا الخبر الخطير عن عصابة المخربين حسن كامل المستهبل ومراد الوحش عليك أن تشتري لي تلك الأسوارة الذّهبية قيراط ٢٤ التي على شكل أفعوان غاضب. ألا أستحقّها بعد هذه الأنباء المهّمة التي توازي بأهمّيتها أهميّة الأخبار جميعها التي يأتيك بها رجالكَ العيون على العباد؟"

تخريصة من ٨ إلى ٩
من المأمور سند الضّبع إلى المأفون جميل باشا

"كما تلاحظ يا سيدي الباشا لقد سيطرنا على المشهد التّخريبيّ كاملاً، والآن عندنا ملفّات كاملة حول عصابة (الحريّة والعدالة) التي يتزعّمها حسن كامل ومراد، وقد طوّقنا البلدة كاملة بطوق حديديّ من الجنود والأسلحة. نحن في انتظار لحظة الصّفر التي تأمرون بها كي نطبق عليهم، ونسحقهم في أوكارهم المنتنة".

تخريصة من ٩ إلى ١٠
من المأفون جميل باشا إلى كبير الوزراء

"أنا يا كبيرنا وكبير الوطن كلّه، طوع بنانكَ، وأنتظر إشارة منكَ كي نسحق عصابة (الحريّة والعدالة)، لقد أمضيتُ شهوراً أتابع هذه القضيّة بشكل شخصيّ وبسريّة كاملة لأجل أن نعدّ ملفّاً كاملاً حول أولئك الشّرذمة من الظّلامين. والآن نحن ننتظر منكَ إشارة الانطلاق من أجل سحقهم سحقاً لا تقوم لهم قائمة بعده.

أنا في انتظار إشارتكم الكريمة، وكذلك في انتظار تلك الوزارة التي وعدتم مشكورين بتوزيري عليها فور القبض على تلك العصابة عدوة الوطن والمواطن والحضارة والأمن والاستقرار".

تخريصة من ١٠ إلى ١١

.....!

تخريصة من ٥٠ إلى ٢٥٠

.....!

تخريصة من ١٠٠٠ إلى ٥٠٠٠

..... !

تخريصة من الحكومة إلى دول الجوار

..... !

تخريصة من دول الجوار إلى الأقمار الصّناعيّة

..... !

تخريصة من الأقمار الصّناعيّة إلى العالم كلّه

..... !

تخريصة من العالم كلّه إلى التّاريخ

..... !

من سكيّر إلى بغي: "هذا الوطن يحميه الرّجال الشّرفاء كي نعيش في أمن وسعادة وراحة واشتهاء".

من رئيس تحرير مرتشٍ إلى قرّائه: "اليوم انتصر الوطن والقلم على عصابة حسن كامل ومراد اللّذين ثبت أنّهما يحملان جنسيّات دول معادية، ويهدفان إلى تخريب الوطن من خلال دعوات هدّامة إلى أفكار مسمّمة مثل الحريّة والعدالة. أيّها الشّعب ابتهج؛ فهذا هو يوم انتصار إرادة السّلام على الأفكار الهدّامة التي تحاول أن تنهش جسد الأمّة".

من كبير القضاة إلى الشّعب في فتوى عاجلة: "أيّها الشّعب المؤمن، إيّاكم والثّورات والمسيرات والإضرابات والأفكار المسمومة، مثل الحرّية والعدالة والمساواة والمساءلة. هذا كلّه من عمل الشّيطان يريد أن يزيغ قلوبكم بعد أن هداكم الله. الثّورة حرام، وهذه فتوتي، والله مولانا، ونعم المولى، ونعم النّصير".

من مخاتير البلد إلى رئيس الوزراء الأفخم: "نرفع إلى مقامكم السّامي التّهاني والتّبريكات لقضائكم على عصابة حسن كامل ومراد. وكلّنا ثقة بكم، سيروا على الدّرب، ونحن في ظهوركم داعمين لكم".

من القصر العالي إلى الشّعب الموقّر: "نشيد بمواقفكم الدّاعمة، وندعوكم إلى المزيد من الحرص من قوى التحرّر الظّلاميّة".

من رئيس محكمة التّميز إلى القصر العالي: "بعد تجريمنا لعصابة حسن كامل ومراد بعد إدانتهما بجريمة الخيانة الكبرى، وجريمة تشكيل عصابة إرهابيّة، وجريمة التّرويج لأفكار معادية للنّظام الحاكم، وجريمة القدح في مقاماتساميّة، وجريمة القتل العمد لمواطنين أبرياء مع سبق الإصرار والتّرصّد، نرفع إلى مقامكم الأكرم قرارنا بإعدام أفراد

العصابة جميعاً رمياً بالرّصاص حتى الموت في ميدان عام ليكونوا عبرة لمن يعتبر، ونطالب بمصادقتكم العاجلة على هذا القرار القطعيّ الذي لا يقبل الاستئناف أو الفسخ".

من جهة مجهولة إلى القصر العالي: "نوافق، ويُجرى اللازم على أن يتمّ الإعدام في مدة أقصاها ٤٨ ساعة من الآن".

من حسن كامل إلى مراد في زنزانة عفنة مظلمة: "هل الموت مؤلم يا أخي مراد؟"

من مراد إلى حسن كامل في زنزانة عفنة مظلمة: "ليس الموت أكثر إيلاماً من أوطاننا المأزومة المتعفّنة حتى النّخاع".

من حسن كامل إلى مراد بحيرة كبيرة: "ما هو النّخاع؟"

من مراد إلى حسن كامل بقهقهات مرتفعة: "هو شيء غير مهم".

تخريصة من ... إلى...
بقلم رئيس تحرير صحيفة (الوطن والأمة والشّعب)

"اليوم يشهد الوطن مرحلة تاريخيّة وعرساً وطنيّاً بإعدام الإرهابيّ "الكبير حسن كامل ومراد الوحش وكافّة أفراد عصابتهما. الوطن قبل كلّ شيء، وجميعنا فداء له".

صهوات الكذب

صهوات الكذب

الانتشاء والتّحليق حيث صهوات الكذب

(1)

صهوة الظّلّ

عندما ينظر إلى ظلّه الممتدّ أمامه يشعر بالفخر؛ لأنّه يملك هذا الظّلّ العملاق الطّويل القاتم الذي يسبقه أينما ذهب ملبّياً دعوات الخارجين عن القانون والضّمير والوطنيّة، في حين يلحق به مزهواً ومهروﻻً عندما يكون في طريقه إلى حضرات أسياده من اللّصوص والفسدة.

يشعر بأنّه عظيم؛ لأنّه يملك هذا الظلّ الظّلاميّ المغرور، ويرقب وجوه من حوله ليرى فيها إجلالاً لذاته التي تزعم أنّه وطنيّ مصلح، ويأمل أنّهم لا يرون ما في جيوبه من رشوات، وما في جوفه من مال حرام.

هو يركزّ طوال الوقت على ظلّه، ويبتسم ابتسامة عريضة تسمح بظهور أسنانه المصفوفة صناعياً في فمه، وتتخلّلها قواطع من الذّهب الخالص المطعّم ببلورات ماسيّة صغيرة لامعة.

يأمر حرّاسه من ضخام الجثث وصغار الضّمائر بأن يحرصوا على أن لا يدوسوا ظلّه الممتدّ الذي يشكّل الفخر الوحيد في حياته.

(١)

حقيقة الظّلّ

الجميع حوله لا يأبهون بظلّه كما يأمل، ويتوهّم؛ فهم جميعاً ينظرون إلى قامته القصيرة حدّ التّضاؤل بتقزّز وقرف، ويتخافتون بسخرية على طوله القزميّ الذي يقرّبه من مهرّج ممجوج في حفل صيفيّ كئيب شديد الرّطوبة، أمّا أكثر من يشدّهم إلى مراقبته، فهي المهزلة التي يكونها عندما يتحّدث بصلافة ونزق عن النّزاهة والشّرف والمبادئ وخدمة الأوطان، يبدو عندها أكثر تقزّماً، وأشد قبحاً.

عندها يستغرق الجميع في الضّحك والتّسلّي، وهم يراقبونه يتابع ظلّه أملاً في أن يبدو أطول ولو لشبر واحد.

(٢)

صهوة المرايا

كلّما وقفتْ أمام المرآة شعرتْ بالفخر والفرح والغبطة؛ فالسّنون لم تسرق نور بشرتها، ولا لمعان عينيها، ولا ابتسامات شفتيها، إنّها جميلة رقيقة على الرّغم من كلّ ما كان، هذه المرآة لا تزال تهتف لها متغنّية بجمالها على الرّغم من عذاباتها، المرايا لا تكذب، وهي جميعها تهتف لها بصوت واحد: "أنتِ الأجمل".

وكلّما هتفت المرايا بهذا الهتاف النّاعم المداعب لروحها اعتلت صهوة الفرح، وطارت إلى علياء سماء المرايا حيث لا كذب أو خداع؛ فهي تكره الخداع والمخادعين.

(٢)

حقيقة المرايا

"هي تكره الخداع والمخادعين"، كلّما ردّدت هذه المقولة ضحكت المرايا منها بكامل سخريتها، وزعقت بأعلى صوتها: "أنتِ امرأة قبيحة، بل أنتِ المرأة الأشدّ قبحاً في الدّنيا! متى كنتِ جميلة أو محبّبة؟ أيّها الشّريرة، أنتِ دون قبح أنثى الشّيطان".

لكنّها لا تبالي بزعيق مراياها، وتكسّرها في سورة من سورات جنونها وغضبها كلّما رأت عيون من حولها تسيطها بعبارة: "امرأة شريرة".

تكسّر المرايا، وتدوس أشلاءها الزّجاجيّة الحادة بحذائها الإيطاليّ الفاخر، وتجزم بذلك أنّها قد استطاعت أن تقتل حقيقة أنّها امرأة قبيحة الرّوح والأفعال والملامح، وتصمّم على أن يناديها الخدم باسم السّيدة الجميلة!

(٣)

صهوة الحلم

في كلّ ليلة يرى الحلم ذاته؛ يرى السّمين الأحمر الأوداج والبشرة والعينين يفتح له باب السّيارة بذل وطاعة هوان، وهو يركب السّيارة الفارهة منفوشاً كديك روميّ يتمايل أمام دجاجات بلديّة جائعة، فيجلس بفخر دالعاً كرشه أمامه براحته، وهو يدلقه في بذلته القشيبة الجوخ الفاخرة، ويرمق ذلك الحارس الأسمر النّحيل بتقزز، وهو يراقب الزّجاج الإلكتروني لنافذته يرتفع بشكل ذاتيّ.

يأخذ نفساً عميقاً من سيجاره الكوبيّ باشتهاء بادٍ، ويغرق في وثير جلد سيارته، ويستبرد بلذّة بالهواء البارد المنبعث من مكيّف السّيارة الألمانيّة الصّنع، ويأمر السّائق بإشارة من إبهامه كي ينطلق في دربه، ويغمض عينيه ليسمع الموسيقى المنبعثة من مسجّل السّيارة التي تعبّ الأرض عبّاً في طريق ذهابها إلى مقر الإدارة.

(٣)

حقيقة الحلم

يتمنّى أنّ حلمه اللّيليّ الملازم هو حقيقة حياته، لكنّه عندما يقف بجسده النّحيل وبذلته الرّسميّة القديمة، ويغلق باب السّيارة الفارهة بعد أن يندسّ سيده السّمين الأحمر فيها، يكاد يتقيّأ من السّخط على واقعه.

يضطر إلى أن يلوّح بيده مودّعاً سيده الذي لا يأبه به، أو يراه، وعندما تبتعد السّيارة الفارهة، يقفز في سيارة الحراسة مثل جندب هزيل، ويظلّ طوال الطّريق موزّع النّظرات بين الشّارع وسيارة سيّده التي تعبّ الأرض عبّاً أمام سيارة الحراسة المرافقة التي يتكوّم في كرسي من كراسيها، ويظلّ بين الغفوة واليقظة يستلذّ بفتات حلمه حيث يكون هو السّيّد، والسّيّد الأحمر السّمين هو حارسه الذّليل المهين.

(٤)

صهوة الشّرف

عندما دخلت مستشفى السّلام لعلاج سرطان الأطفال لم تكن تتمايل بعباءتها الحريرية اللامعة بحجارة الكريستال الرّوسيّة الغالية الثّمن، ولم تتابع الرّجال بنظرات مصنوعة بمهارة للإيقاع بهم، واصطيادهم برموشها الصنّاعيّة التي تغرقها بالكحل العربيّ الأسود الذي يلفت النّظر إلى محجري عينيها مهوى العشق والشّبق، لم تنتبه كذلك إن كان الممرض المرافق لها قد نادها بالسّيّدة الشّريفة نوّارة أم لا؛ فهي مشغولة عن ذلك كلّه بانتظار نتائج مختبر الخلايا الجدعيّة.

جلستْ إلى طاولة طبيب المختبر تنتظر نتيجة الاختبار كي تعرف إن كان هناك أيّ أحد من أولادها الذّكور الخمسة يستطيع أن يتبرّع بنخاعه لابنها السّادس المريض المصاب بالسّرطان وفي أمسّ الحاجة إلى متبرّع بالنّخاع الشّوكيّ لينقذه من الموت الذي ينتظره.

بمجرّد أن تقرأ نتيجة التّقرير، تطويها على عجل وتوتّر، وتدسّها في حقيبتها التّمساحيّة الجلد الوحشيّة السّعر، وتسارع إلى مغادرة المستشفى لا تلوي على ابنها المريض فيه، وكأنّها تخشى أن يعلم العالم كلّه أنّ التّقرير يفضحها صراحة، ويعرّي فسادها وزورها، ويجأر أمامها بأنّها ليست أكثر من زوجة رخيصة خائنة أنجبت ستّة ذكور من ستّة رجال مختلفين ليس زوجها أحدهم، وإن كانوا جميعاً ينتسبون إليه، وينفق عليهم من ماله العريض طوال سنين أعمارهم.

وعقوبتها على خيانتها أنّ ابنها السّادس المريض سيموت لا محالة؛ لأنّه لا يملك أخاً شقيقاً واحداً يمكنه أن يهبه خلايا جدعيّة مناسبة.

ترمي نفسها سريعاً في المقعد الخلفيّ لسيارتها، وتشنّف أذنيها لسائقها العجوز المتهالك، وهو يسألها قائلاً: "إلى أين نذهب يا سيدتنا الشّريفة؟"

(E)

حقيقة الشّرف

لا أحد يناديها بالسّيّدة الشّريفة، والكثيرون ممن يلعقون أصابع قدميها في الخفاء يصفونها بالمرأة الرّخيصة في النّهار، ولكنّها لا تبالي بكلّ ذلك لإيمانها العميق بأنّها سيدة شريفة الرّوح والإبداع، وهي شريفة الضّمير والذّمة؛ إذ لم تسرق بشراً، ولم تنهب أمّة، ولم تخدع قلباً، هي باختصار تعيش حياتها كما تشاء، تغنّي متى تشاء، وترقص كما تشاء، وتفعل ما تشاء.

لا يعنيها في الدّنيا سوى الغناء والموسيقى ورعاية الفقراء الذين ترعاهم سرّاً دون أن تتبجّح بذلك أمام النّاس، يرضيها أن تنفق مالها على منكودي الأرض ومستضعفيها، حتى وإن كانوا ممّن يلمزونها بشرفها؛ فهي ترى الشّرف كلّه في الإنسانيّة وحبّ المستضعفين، ولا يعنيها أن يلهث الكاذبون خلفها بلقب: سيّدتنا الشّريفة!

(٥)

صهوة القلب

قلبه الجديد يدقّ دون توقّف، ويزداد وجيبه عنفاً وصخباً عندما تمرّ تلك الحسناء أمامه في العمل، أو عندما يلتقي بها صدفة في الرّدهات؛ إنّها تشغله عن كلّ شيء سواها.

منذ أن نجا من الموت المحقّق، وتجاوز محنة نقل قلب جديد إلى صدره المأزوم بقلبه المريض الضّعيف، وهو يستمتع بهذا القلب الرّقيق الذي يماشيه في لعبة العشق، ويدقّ دون توقّف لتلك السّمراء النّحيلة شبه العارية التي تجيد الغنج والتعرّي واستدرار لعاب الرّجال المشتهين لسمرتها النّدية، وقدّها المنحوت بحرفيّة أنثويّة آسرة.

هذه السّمراء لا تبالي به كثيراً؛ فهي مدمنة على تجميع العشّاق والمعجبين، ولكّنه يصمّم على أن يلفت نظرها، وأن يسرق قلبها، كما سرقت قلبه الجديد المرهف؛ فهي تنسيه أيّ ألم في روحه، بل تنسيه تلك الفتاة الرّقيقة التي كانت تعمل في قسم الاستقبال في الشّركة التي يعمل فيها،

وتراقبه على استحياء دون ملل وكلل، لقد كان آنذاك يستهويه حبّها الصّامت الخجول، وأحزنه خبر موتها انتحاراً لسبب لا يعرفه، ولم يكلّف نفسه بأن يسأل عنه.

ولكن ماله ولتلك العاشقة الخجولة الصّامتة؟ لا يعنيه سوى هذه السّمراء المغناج التي يشعر بأنّ قلبه الجديد كان عاشقاً لها حدّ الموت، وهو في صدر صاحبه الذي وهبه قلبه؛ كي يعشقها من بعده، ولا ينقطع عن تتيمه بها.

(٥)

حقيقة القلب

قلبه الجديد لا يدقّ دون توقّف لتلك السّمراء الرّخيصة التي تقتات اشتهاء الرّجال واستكلابهم عليها، بل يقرع دون توقّف فرحاً بأنّه يرقد بين أضلاع صدره؛ فهذا ما كان يحلم به منذ زمن حتى عندما كان خارج صدره، ويعيش بين ضلوع تلك الفتاة العاشقة له بصمت موجع، لقد كانت تعرف أنّ من تحبّه سيموت إن لم يجد متبرّعاً له بقلب يهب الحياة له، وهي من قرّرت أن تهبه هذا القلب عندما ساءت حالته، ولزم سرير المستشفى مستسلماً للموت الذي يكاد يهجم عليه، عندها كتبت وصية بأن يتمّ التبرّع بقلبها للرّجل الذي تحبّه، وانتحرت، لتخرج من الحياة، وتهب قلبها لمن تحبّ.

الآن قلبها العاشق يتربّع في صدر من تحبّه، وبين ضلوعه، ويخفق بالحبّ له، وهذا العاشق الأحمق يظنّ أن قلبه يخفق لتلك السّمراء السّاقطة،ولا يعلم أنّ هناك عاشقة قد ضحّت بحياتها كي تهبه قلبها،وتنقذه من الموت.

(٦)

صهوة الوطن

يفهم الوطن بمفهوم عمّه مهاوش أبو الفزعات الذي كان قاطع طريق عتيد مشهود له بالغدر والجبن والحقارة وإيذاء البشر، وهو من علّمه أنّ الوطن هو المكان الذي يستطيع أن يسرق منه كما يشاء دون أيّ اعتراض من أيّ جهة كانت، ويسمّي الانتماء لهذا الوطن بالهبش، أيّ السّرقة والهرب بعد الإغارة السّريعة والغزو المباغت، عمّه اللّص العظيم كان يتبع أحدث الطّرق في الهبش، ولذلك طوّرها من سرقة المسافرين العُزّل في الدّروب المعزولة إلى سرقة الوطن من داخله جهاراً في وضح النّهار.

هو تلميذ عمّه ووريثه في لصوصيته؛ فقد سرق اسماً غير اسمه، اختاره اسماً مبجّلاً شريفاً لشهيد من شهداء الوطن، وسرق شهادة دكتوراه في أرقى العلوم، وسرق سيرة مشرّفة من النّضال، وسرق الكثير من بحوث المجدّين وكتابات المبدعين، وأسكتهم جميعاً بسوط الوطن الذي سطا عليه أيضاً، حتى أنّه سرق له عدّة حجّات من مال الزّكاة، وهو يفكّر جدّياً في أن يسرق صفة شهيد وطن من شهيد ما!

(٦)

حقيقة الوطن

لم يظفر من الوطن إلاّ باسم ابن الشّهيد، هذا ما يفخر به في العلن، أمّا في صمته وشطحات روحه، فهو يلعن الوطن الذي ضحّى بأبيه، ولم يردّ له منه سوى قبعته العسكريّة بعد أن وهبه راتباً شهريّاً هزيلاً لا يكفي ليشتري قمحاً لدجاجة جائعة.

حتى أنّ رجلاً ما من رجالات الوطن قد سرق منه منحته الدّراسيّة، وآخر من الرّجالات ذاتهم سرق منه وظيفته التي كان يجب أن ينالها؛ لأنّه الأوّل في تخصّصه العسكريّ، وبعد سلسلة من سرقات الوطن له من قبل رجالاته الغرّ الميامين، وجد نفسه حارساً ليليّاً على بوابة في معسكر صحراويّ منسي من معسكرات الوطن.

في النّهار يفتح الأبواب للصوص الوطن، وفي اللّيل يقف مشلوعاً على باب المعسكر ليحرس لصوص الوطن الذين يهبشون من الوطن وفق وصايا عمّهم الأعظم وقائدهم الرّوحيّ مهاوش أبو الفزعات.

ويظلّ ينتظر أن ينتهي الشّهر ليلقي الوطن له بأوراق نقديّة بخسة راتباً شهريّاً لقاء حراسته للصوصه!

أفراح التّدليس
ومصارع الصّادقين

أفراح التّدليس ومصارع الصّادقين[1]

فيما ورد في باب فضائل اللّصوص الشّرفاء

ذكر مولانا المعلّم الأكبر فيما يروي عن الكذّابين والخرّاصين والمدلّسين وأهل الخنا إنّ لصّاً عظيم الشّأن والفتنة والمكر والخبر قد وُليّ أمر العباد والدّواب، وتقلّد مقاليد الحسبة والميزان ثم القضاء، وأنّه قد ملك المشرقين والمغربين بخبثه وسوء مكره وغبن نفسه، وأنّه ما أبقى شيئاً إلاّ سرقه، وادّخره في خزائنه، لكنّه على الرّغم ممّا لحق به من سوء الذّكر، وفحش الأثر، ولعن الفعل، وفضح المؤرخين له بعد أن كشفوا ستره، وسبّوا زمنه، وقدحوا في شرفه وأصله ونزاهته، إلاّ أنّه أبى إلاّ أن يكذّب المكذبين، وينزّه ذمته، وأعلن على الملأ أنّه يعترف بأنّه سارق مجيد، إلاّ أنّه سارق شريف نبيل أصيل؛ فهو قد سرق الحياة والمعاش والأزمان، لكنّه أبى أن يسرق الشّرف والضّمير والمبادئ؛ ولذلك ترك هذه الفضائل والمكارم موفورة كاملة للعباد الصّالحين كي يتمتّعوا به، ويدركوا بوساطتها كم هو لصّ شريف ابن شريف.

---

[1] - "الرّوايات تتضارب عن المعلّم الأكبر الذي خطّ لهم كتاب "أفراح التّدليس ومصارع الصّادقين".
"الرّواية الوحيدة المُجمع عليها هي أنّ هذا المعلّم الأكبر العظيم المؤرّخ المربيّ المصلح هو الذي نقل النّفاق والكذب والافتراء من مواهب وهوايات فطريّة إلى أفعال على أساس علميّ، ومنهج دراسيّ، ومبدأ حياتيّ".
"المعلّم العظيم الأكبر هو من حوّل الكذب إلى مُلك، والافتراء إلى سلطة، والنّفاق إلى موضة".
"هذا الكتاب هو كتاب مقدّس عند المؤمنين به".
"أفراح التّدليس ومصارع الصّادقين هو الكتاب الرّسميّ المعتمد عند حضراتهم".

فيما ورد في باب فضل الكذب الكبير على الكذب الصّغير

ذكر مولانا المعلّم الأكبر فيما يروي عن الكذّابين والخرّاصين والمدلّسين وأهل الخنا إنّ الكذب الكبير خير من الكذب الصّغير، وأنّ الكذبات الصّغيرة قليلة الإحسان؛ لأنّها قليلة الإيذاء، في حين أنّ الكذبات الكبيرة مجيدة مكرّمة عند الخلق والسّاسة؛ لأنّها عملة الكبار والأسياد وعلية القوم، وفي ذلك يرون أنّ عبداً مملوكاً فقيراً كذب سيده في مسألة حقيرة سأله إيّاه، عندها هبطت منزلة العبد في عيني سيده، وجدع أنفه ، وصلبه في درب العبيد والنّخاسين وأسواق الرّقيق؛ ليكون درساً لمن يكذب على سيده كذبات صغيرة حقيرة، وهذا ما كان.

أما ذلك الكذّاب الكبير المجيد فقد رُوي في الأثر أنّه رُفع على الأكتاف حتى أصبح سيّد القوم، والمُصدّق عندهم، والرّفيع الشّأن بينهم، حتى أنّهم قدّسوه، ومجّدوه، ثم بنوا له معبداً، وعبدوه، وجعلوا من ملابسه مُتدثراً مقدّساً يتطهّرون به، وبعد أن ألّف لهم كتاباً في مسالك الكذب ودروبه، قدّسوا كتابه، وما انفكوا يكبرونه حتى ألّهوا ذلك الكذّاب الكبير الذي أعدم في الماضي عبداً مستضعفاً مسكيناً؛ لأنّه كذبه في مسألة صغيرة ليست ذات شأن.

فيما ورد في باب مصارع الصّادقين ومهالك الورعين

ذكر مولانا المعلّم الأكبر فيما يروي عن الكذّابين والخرّاصين والمدلّسين وأهل الخنا إنّ شاباً كان قليل الحظّ سيء الطّالع، بلغ من سوء طالعه أنّ انقطع إلى معلّم صالح يعلّمه الصّدق، ويحبّبه به حتى وقع الصّدق

في نفسه، وأصبح لا ينطق إلاّ صدقاً، ولا يفعل إلاّ صالحاً، ثم كبر ذلك الشّاب المنكود على هذا الطّبع المتروك المهجور، لكنّه ما سلك درباً إلاّ أضناه، وما قصد أمراً إلاّ رُدّ عنه بسبب صدقه، وفي آخر المطاف فتك الفاتكون به، وقتلوه في درب ما وهو عائد من صلاة الفجر، وما وجد له نصيراً، ولا دافع عنه عابر في المكان، فكان عبرة لكلّ من بغى الصّدق، وسلك دروبه، وهي دروب تعسة لا تقود إلاّ إلى الموت؛ فالصّدق في دنيا الأوغاد نهايته سوداء.

فيما ورد في باب اختلاف أقدار الصّادقين والكاذبين

ذكر مولانا المعلّم الأكبر فيما يروي عن الكذّابين والخرّاصين والمدلّسين وأهل الخنا إنّ رجلاً عابداً صالحاً صادقاً أحبّ بغيّاً حسناء، فتزوجها أملاً في أن يدفعها إلى دروب العفّة والشّرف، ولكنّها ظلّت تحنّ إلى الخسّة والخيانة، إلى أن هجرته، وهربت مع تاجر من بلاد بعيدة لا يدركها إلاّ القلّة من جائبي الأقطار وعشّاق الأسفار، وتركت خلفها توأمين ذكرين أنجبتهما من زوجها العابد الصّالح، فتعهدهما الأب العابد الصّالح بحسن التّربية، فشبّ أحدهما على ما ربّاه أبوه عليه من الصّدق والصّلاح، في حين نزعت نفس الآخر إلى ورث من عرق أمّه من الخسّة وسوء الأخلاق.

ومات الأب بطاعون حلّ في البلاد، وافترق الأخوان ليطوّفا في الأرض عندما ضاق عليهما بيت واحد لا يتّسع لاختلاف طباعهما؛ فكان نصيب الصّالح الصّادق أن يذوق الويل والقسوة والجوع والحرمان بسبب صلاحه وصدقه؛ إذ هجره النّاس بسبب ذلك، وعاش وحيداً حتى انقصف شبابه، ومات في ريعان عطائه كمداً محزوناً.

أمّا أخوه التّوأم، فقد نالت نفسه من كلّ ما اشتهتْ، وطابت الحياة له، وأقبل عليه المُلك والسّعد والغنى، وعاش حياة مديدة، وخلّف رهطاً من الأبناء الأشدّاء على الحقّ، المنتصرين للظّلم، وسادوا، وعاشوا في خير وأمن ونعيم حتى وافاهم هادم اللّذات ومفرّق الجماعات.

فيما ورد في باب التّأريخ لأهل التّدليس

ذكر مولانا المعلّم الأكبر فيما يروي عن الكذّابين والخرّاصين والمدلّسين وأهل الخنا إنّ خير ما يفعله المدلّسون والخرّاصون والكذّابون وأهل النّقائص أن يستعينوا بأهل القلم ممّن باعوا ذممهم، وخانوا ضمائرهم، واستحلّوا كلّ حرام، وتاقوا لكلّ شهوة مهما كان ما فيها من منقصة.

وقد تداعى أهل الفساد إلى البرّ بهذه الوصيّة؛ فأحاطوا أنفسهم بأهل القلم الذين يزورون الحقائق، وينمّقون الأكاذيب، ويحلّون المفاسد، ويصدّقون الكاذب، ويكذّبون الصّادق، وخير من فعل ذلك هو سيدنا الأكحل الجربان الذي كان لقيطاً منبوذاً، فتحايل لنفسه حتى ارتقى رقاب العباد دون علم أو فضل أو ميزة أو كرم أو خلق، وعندما أجال نظره فيما حوله، وأطال التّأمّل في حاله، وجد أنّه سيرته سوداء، وأنّ التّاريخ سوف ينتقم منه بالتّشهير والتّحقير، في حين أنّ عدوّه الأكبر عالم الأمة المجاهد النّقي سوف يُخلّد في أسفار الصّالحين، وينحني له التّاريخ تبجيلاً وتقديراً وتعظيماً، عندها قرّر قراراً حازماً، ونفّذه من ساعته؛ إذ أعدم عدوّه العالم الجليل، وأمر خدمه من أرباب القلم بأن يزوّرا التّاريخ، وأن يسلبوا كلّ فضيلة من عدوّه العالم ، في حين أمرهم بأن يجنّدوا أقلامهم لأجل تزوير

تاريخه القميء؛ ليجعلوا منه سيّد العلم وذا الفضائل، وأمرهم بأن يطلقوا عليه لقب أبي الهمم.

لقد تلكأ أهل القلم في تنفيذ الأمر لصعوبته، ولكنّهم طاروا فرحاً عندما أهال عليهم المال ونفائس الجوهر، وفي أشهر قليلة زوّرا تاريخ السّلطنة كاملاً، وغدا الأكحل الجربان أبا الهمم، في حين بات عالم الأمة المجاهد التّقي الزّنديق الخائن.

وطفق المعلمون الفاسدون يحفّظون السّيرة المزورّة عن أبي الهمم لطلبتهم المخدوعين.

فيما ورد في باب حسن الاغتنام عند أهل الإفك والبهتان

ذكر مولانا المعلّم الأكبر فيما يروي عن الكذّابين والخرّاصين والمدلّسين وأهل الخنا إنّ من أهمّ ما على أهل الفريّة والإفك والبهتان أن يتعلّموه أن يغتنموا الفرص، وأن يسرقوا الفضل من أهله، وأن يندسوا في الخفاء عندما يلجّ الموت، وأن يخرجوا من جحورهم عند الغنيمة، وخير من أتقن هذا الدّرس هو عمران أبو الظّلام الذي كان قد توافر على البلاغة، وتعلّمها من أربابها، ثم جعلها تجارته الرّائجة الرّابحة، حتى غدا شاعر المواخير والقوّادين، ومن بعد أحسن التّسلّق حتى أصبح كبير كتّاب ديوان القضاء، ثم غدا بعد ذلك الكاتب الأكبر للكتّاب، وصاحب الوزارات جميعها، وقطّع عمره في منافقة سادته، والكذب لهم وعليهم، إلاّ أن قامتْ ثورة الصّعاليك الذين عصف الجوع والظّلم بهم، فعصفوا بالحاكم ودولته

وقادته ورجاله، عندها تخفّى عمران أبو الظّلام وأعوانه من المدلّسين في ثقوب الأرض وجحورها.

عندما انتصرت ثورة الصّعاليك كان جلّ المدلّسين قد تشرذموا بين الموت والمرض والضّياع في دروب الأرض، وكانت تنقصهم العبارة واللّغة ليحسنوا التّعبير عن أنفسهم، فتبرّع عمران أبو الظّلام ليكون لسان الثّورة بعد أن كان لسان الاستبداد ويده، وبأقصر الطّرق غدا -من جديد- ذا الوزارات جميعها، ولسان الثّورة، ومُدلّل السّلطة الجديدة الثّائرة على السّلطة الماضية المقوّضة.

فيما ورد في باب مُلح أهل النّفاق والرّياء

ذكر مولانا المعلّم الأكبر فيما يروي عن الكذّابين والخرّاصين والمدلّسين وأهل الخنا إنّ لأهل النّفاق والرّياء الكثير من المُلح والطّرائف التي تبهج الرّوح، وتضحك البائس المحزون، وممّا يروى في هذا الباب أنّ قاضياً أفّاقاً محابياً لأهل المال والرّشوة قد نفق حماره الأعرج، فأعلن الحداد عليه، وعطلّ النّظر في القضايا المعروضة عليه إلى حين يتشافى من آلام فقده لحماره، واعتكف في بيته لتقبّل العزاء في حماره الأعرج، فانخلعت أدراج بيته من ليلته تلك لكثرة من أتاه من معزّين منافقين ودّجالين، فزاد ذلك من غروره بنفسه، فاشترى حماراً آخر يذكّر الجميع بحماره الفقيد المجيد.

وما مضى شهر إلاّ وخُلع القاضي من منصبه الرّفيع، فما كاد يلزم بيته حتى فُجع بموت زوجته وابنه في حادث حريق في بيت المونة، ففتح بيته للعزاء، إلاّ أنّ لا أحد من أهل المدينة قصده معزّياً له على الرّغم من فظاعة

مصابه، في حين عزّاه أهل المدينة أجمعون بحماره الفقيد عندما نفق قبل شهر، وعندما سأل عبداً حصيفاً يملكه عن سبب ذلك، أجابه العبد اقائلاً: "يا سيّدي، إنّهم يعزّون كرسي القاضي بالحمار النّافق، أمّا عندما خسرت الكرسي ما عزّاك أحد؛ فالنّاس تنافق الكرسي ومن يجلس عليه".

فيما ورد في باب أكاذيب الغواني وترّهات الشّطّار

ذكر مولانا المعلّم الأكبر فيما يروي عن الكذّابين والخرّاصين والمدلّسين وأهل الخنا إنّ رهطاً من الشّطّار كانوا قد تعاهدوا على الانقطاع في الصّحراء لأجل السّرقة والنّهب، حتى ولو اضطر أحدهم إلى أن ينهب أباه، أو أن يسرق زوجه وبنيه، وقد أخلصوا لذلك، فذاع صيتهم في الصّحراء، حتى خشيتهم الأعاريب، وخافهم النّاس، وهربت من وجوههم الوحوش والضّواري، فاغتروا بأنفسهم، وباتوا يسطون على النّاس إمعاناً في البطش، ورغبة في التّسلية والمباهاة، حتى أنّهم ما وجدوا في أنفسهم حرجاً في قطع الدّروب، وسلب الحجّاج والنّساك لأجل رهان أو مقامرة.

وكان أن تراهنوا على أن يسطوا على مضارب عشيرة غاب عنها رجالها لذهابهم إلى الحرب، وأن يزنوا بنسائها جميعاً من أجل المفاخرة بفحولتهم بعد أن شبعوا تفاخراً ببطشهم.

وما كادوا يدخلون مضارب القوم حتى قتلوا من فيها من عبيد وغلمان مدافعين عنها، واغتصبوا النّساء جميعاً في خدورهن، وعلى فراش أزواجهنّ وأهليهنّ، فما قاومت إحداهنّ، أو رفضت هدر شرفها، إلاّ امرأة واحدة رفضت ذلّ الاغتصاب، وهدر الشّرف، وواجهت الشّاطر الذي

غشي خدرها حتى نحرته بخنجرها، وخرجت على القوم تتبختر تيهاً، وهي تحمل رأسه بيمينها، وخنجرها بشمالها.

إلاّ أنّ الشطّار خشوا أن تضيع هيبتهم في الصّحراء بسبب شجاعة هذه المرأة الحرّة، وكرهتها نساء عشيرتها اللّواتي خشين أن ينفضحن أمام أزواجهنّ؛ لأنّهنّ فرطن بشرفهنّ بسهولة وذلّ، في حين حافظت المرأة الحرّة على شرفها، ولم تسمح بأن تُستباح.

فقرّر الشّطار والنّساء المغتصبات أن يتشاركوا جميعاً في قتل تلك المرأة الحرّة كي لا تفضح بشجاعتها وعزّتها ترّهات الشّطار وتفريط النّساء بشرفهنّ، وتظلّ الصّحراء تترنّم بأكاذيب الشّطار والغواني، وتتكتّم على المصائر السّوداء للحرائر والصّادقين.

فيما ورد في باب من عشق نساء الخنا وما استطاع أن يعشق غيرهنّ

ذكر مولانا المعلّم الأكبر فيما يروي عن الكذّابين والخرّاصين والمدلّسين وأهل الخنا إنّ سيد الرّجال كان يزعم أنّه مسبار الأخلاق في زمنه، حتى أنّه كان يعدم المرأة من قومه وأهله إنْ ثبت له أنّها تنفّست من هواء تنفّسه رجل ما؛ فقتلّ الكثير من النّساء بتهمة الزّنا دون أن يمسسهنّ بشر أو جان، حتى أنّه لقّب فيما بعد بذبّاح النّساء، إلاّ أنّ لقبه الشّائع في الأوسط الشّعبيّة حيث درك النّاس والأفعال هو صاحب نساء الخنا؛ فقد علق منهنّ عاهرة من عاهرات الطّريق وعابري السّبيل وأهل الجذام، إذ

كانت من الفئات الوضيعة من العاهرات لتشوّه جسدها، وغلبة ذكورتها على أنوثتها، وفظاعة صوتها الذي يكاد يكون صريراً لا صوتاً بشريّاً، إلاّ أنّها كانت بارعة الفحش، مجيدة لفنون الوصال، وأشكال الجماع، ولذلك فقد تولّع بها زبائن السّوقة والرّعاع من النّاس، في حين زهد بها الأسياد والأثرياء ومحبّو الجمال والأنوثة والدّلال.

لكنّ صاحب نساء الخنا تعلّق بصنانها تعلقّاً عظيماً، ووله بجسدها المهصور المشوّه القزم، وألف صوتها الصّرير، وتولّع بفحشها وبراعتها فيه، حتى ما قبلت نفسه غيرها، وما تحرّكت رجولته إلاّ لها، فانقطع لها يجامعها هو ورهطه، ويقدّمها هديّة ثمينة لزوّاره، ثم هجرها زمناً تقزّزاً منها، إلاّ أنّه عاد إليها مسترضياً لها، وقدّم لها رأس امرأة شريفة من نساء عصره قربان استرضاء لها، فما كان يرضيها إلاّ أن يُراق دم الشّريفات على قدميها ذات الأظلاف العنزيّة كي تغفر لحبيبها المارق جفاه وبعده وتقزّزه منها، وتنتقم لنفسها ممّن يملكن ما لا تملكه من العزّة والشّرف والأنوثة.

يوم صادق مؤسف جدّاً

يوم صادق مؤسف جدّاً

كلّ من يزعمون أنّهم على خصومة مع مولانا الكذب هم يخرّصون!

لقد عاد من رحلة الحجّ التي حصّلها رشوة من أحد المراجعين للدّائرة الضّريبيّة التي يرأس فيها قسم الجباية من الشّركات والمؤسّسات الخاصّة، وقد قبل بهذه الرّشوة على مضض؛ لأنّه لا يصلّي ولا يصوم، ولا يأبه بتفاصيل العبادات والحرام والحلال، بل إنّه منذ زمن طويل قد قطع علاقته مع السّماء، وكرّس وقته للأرض بمن فيها من شياطين ووحوش وأنصاف بهائم والقليل من البشر، لكنّه لا يمكن أن يرفض أيّ رشوة تقدّم له؛ فهذا منهجه في الحياة الذي يتلخّص في أنّ ما يأخذه خير ممّا يتركه، وهو لا يترك أبداً شيئاً يستطيع أن يأخذه.

لقد حاول بكلّ جهده أن يستبدل هذه الحجّة الرّشوة بأيّ مبلغ نقديّ مهما بخس، لكن صاحب شركة السّياحة والحجّ والعمرة أقسم له أنّه لا يملك من دنياه سوى هذه الحجّات التي ينوي بيعها، والتّكسب بها بعد أن أصاب الكساد سوق السّياحة الدّينيّة.

كما أنّه حاول أن يبيع تذكرة الحجّ لأيّ من معارفه أو أصدقائه أو أقاربه، ولكنّه فشل في ذلك أيضاً؛ إذ إنّه لا يعرف في حياته سوى الخارجين عن الله والإنسانيّة والعمل لغير الدّنيا وملذاتها وركامها الجميل الجذّاب؛ لذلك فقد قرّر أنّ يحج بنفسه كي ينتفع بشكل كامل من هديته الرّشوة.

كان ينوي أن يعقد بعض الصّفقات في الحجّ، لكنّه ما توقّع أن يعقد تلك الصّفقة مع اللّه، فيقرّر أن يعود إليه، وأن يبدأ درب العودة إليه بأن

يعلن توبته عن الكذب، وأن يرتدّ إلى درب الصّدق؛ إذ إنّه درب الصّالحين والأبرار والمربّين والمصلحين.

هذا هو يومه الأوّل في عالمه الذي هجره ليحجّ، ثم عاد إليه ناوياً أن يغيّر تفاصيله من ضلال إلى صلاح، وأن يعيد تأثيثه بالصّدق والإخلاص لله.

فتح عينيه على أفراد أسرته الصّغيرة، كانوا متحلّقين حول سريره في انتظار استيقاظه كي يحصلوا على هداياهم التي عوّدهم على جلبها لهم بسخاء وافر من سفراته المتعدّدة، لكنّه نظر إليهم بحزم، وأخبرهم بقراراته الأسريّة المتعلّقة بالصّدق، الذي أضاء نوره في صدره.

لكنّه ما كاد يخبرهم بقراراته الصّادقة حتى تركوا غرفته غاضبين منكودين، أمّا زوجته، فقد حزمت حقائبها على عجل، وغادرت البيت مزمجرة متوعّدة فور أن أخبرها برأيه الصّادق الحقيقيّ بجمالها المصنوع وطعامها الخبيص وأسرتها المستغلّة له وحفلاتها السّخيفة وعلاقتها البالية وصديقاتها الزّائفات المهموزات في أخلاقهن وأموالهن وسلوكياتهنّ.

لكنّه لم يبالِ برحيلها أو بغضبها، وقرّر أن يلتزم بالصّدق مهما كلّفه الأمر، وشرع يكتب في أجندته الإلكترونيّة في جهاز اتّصاله النّقال ما ينوي أن يفعله لأجل أن يبيّض سيرته، وينقّي حياته ممّا علق بها من حرام وكذب وكدر.

كانت القائمة طويلة جدّاً، ولكنّه كان قد عزم على أن يسير في مخطّطه حتى ولو كان هذا الأمر آخر ما سيفعل في حياته، وأخذ يرتّب في ذهنه ما عليه أن يفعله لتكون خطواته واثقة وثابتة في درب التّوبة والصّدق، تنفّس

الصّعداء بصعوبة، وطفق يحلم بذاته النّقيّة التي سيعمل جاهداً كي يحصل عليها.

الخطّة التي اختطّها تحتاج شهوراً طويلة لتحقيقها، لكنّه سيعكف على تنفيذها بصرامة وحزم ومثابرة، وعندما يعود اللّيلة مساء إلى سريره، ستكون هذه اللّيلة ليلته الأولى التي ينام فيها مرتاح الضّمير، وقد ولج إلى دنيا الحقيقة والنّقاء، وتبرّأ من كابوسيّة الفساد والمفسدين.

كان اليّوم صعباً وطويلاً، وعندما صعد درجات السّلم ليندلق في بيته لم يكن ملكاً قد تحرّر من عبوديّة، أو سيداً قد اشترى حرّيته باكتفائه واستغنائه عمّا لا يستطيع أن يملكه بالحلال، بل كان محطّماً مثل حيوان أجرب وحيد رجمته الحجارة المدمية طوال النّهار دون نصير أو رحيم أو منقذ؛ لقد كان يوماً قد استنزف روحه وطاقته وإيمانه؛ في الصّباح خسر زوجته وأبناءه بسبب صدقه، وما كادت الظّهيرة تدركه حتى كان قد خسر أنسباءه وأهله؛ فكثير منّهم قد سبّوه، وآخرون شرعوا في إجراءات عدائيّة ضدّه؛ فزوجته هدّدت برفع قضيّة ضدّه، وأولاده أغلقوا الهاتف في وجهه مراراً وتكراراً، ورفضوا أن يسمعوا كلمة واحدة منه، أمّا أخته وشريكته في بعض الشّركات التي يملك حصصاً سريّة فيها، فقد تنكّرت له، وأخبرته أن لا مال له عندها، في حين أعلن أخواه وأمّه وأبوه أنّهم قد حذفوا اسمه من ذاكرة أفراد أسرتهم، وأنّهم لا يريدون أن يعرفوا شيئاً عنه.

رحلته في العمل كانت الأصعب؛ فقد انقلب زملاؤه ضدّه، ورئيسه في العمل حوّله إلى لجنة تحقيق قانونيّة كي تأدّبه بسبب أخطاء ظهرت له فجأة بمجرّد أنّ أخبره بأنّه قرّر أن يعتزل الرّشوة والفساد والتّزوير، وكثير

من العملاء والزّبائن هدّدوا بفضح تاريخه معهم ما لم يستمرّ في تقديم خدماته السّوداء لهم.

لقد تحوّل فجأة من مدلّل الجميع في العمل إلى عدوّهم الأكبر، حتى مسعود فتى المشروبات تجاهله تماماً، ولم يقدّم له أيّ مشروب طوال اليوم، وتصامم عندما طلب منه أن يحضر له كأس ماء بارد بالثلج كي يخمد به النّار المشتعلة في روحه ممّا يواجهه من زلزال مدمّر بسبب قرار صدقه.

أمّا رجب السّائق الموكل بأن يوصله بسيارة الشّركة إلى البيت غادر مكان العمل دون أن ينتظره، ولم يردّ على اتصاله به على جهاز الاتّصال النّقال، فاضطر إلى أن يعود إلى البيت في سيارة أجرة لم يعدم اختلاق مشكلة مع سائقها بسبب إصراره على تشغيل عدّاد الأجرة المعتمد، وإصراره على أن يقود السّيارة ضمن السّرعة القانونيّة المحدّدة، وعدم رمي النّفايات من نافذة سيارته.

أمّا حارس العمارة، فقد رفضّ أن يشغّل المصعد له، وأجبره على أن يصعد درجات السّلم التي تنيف عن مائة؛ لأنّه أخبره في الصّباح برأيه فيه بكلّ صدق، ورفض أن يعطيه أيّ أموال لأجل تسديد نفقات خدمات مزعومة للعمارة دون أن يزوّده بوصل شراء معتمد وموقّع؛ ليعرف أين عليه أن ينفق ماله ولماذا؟

كلّ ما يحلم به في هذه اللّحظة أن يفتح باب بيته؛ ليدخل إليه مثل محروق محموم يبغي الماء البارد كي يوقف سيلان ألمه، ثم يهرع إلى سريره البارد كي يدفن فيه حزنه وألمه وجزعه من عالمه المتداعي الذي سقط عليه على حين غرّة عندما قرّر أن يؤوب إلى جادّة الأخلاق، ودرب الحقيقة.

لكن حلمه تمزّق وتطاير شظايا من مزق سوداء عندما فتح باب بيته، فوجده قد تعرّى تماماً من أيّ أثاث، حتى الثّريات الكريستاليّة التي كانت تزين فضاء البيت بأنوار بيضاء مشعّة قد خُلعت من مكانها، فغاص البيت في ظلام مفزع.

لا بدّ أن زوجته قد سرقت أثاث البيت، أو أن لصّاً ما قد سطا عليه، اتّصل بصديقه ضابط مخفر المنطقة التي يعيش فيها، لكنّه لم يردّ على اتّصاله، تساءل في نفسه أعدم الرّد على اتّصاله هو مجرّد صدفة؟ أم أنّ خبره مع القرارات الحياتيّة الجديدة قد وصل إليه، فبادر إلى نبذه والتّنكّر له؟

لم يعنّ نفسه بالتّفكير أكثر، وانهار على رخام الأرض البارد، ثم خلع معطفه الجّوخ الفاخر، وكوّمه إلى جانبه ليوسّد رأسه عليه، وأغلق هاتفه النّقّال الذي تلقّى عبره أكثر من مكالمة تهديد من المتضرّرين من قرار استقامته، وقرّر أن ينام دون أن يصلّي العشاء، وهو من عاهد نفسه في الحجّ على أن لا يهجر صلاته أبداً بعد أوبته إليها، وواسى نفسه بأنّه سوف يقضي صلاة العشاء غداً صباحاً إنْ وجد ماء في صنابير الماء ليتوضّأ به.

حاول أن يغمض عينيه ليهرب من ظلام البيت إلى ظلامهما المؤنس، حاول أن يتجاهل ما صارعه من لؤم البشر على امتداد يومه الصّادق، لكنّ الوحشة ملأتْ نفسه أكثر فأكثر.

حاول جاهداً أن يقنع نفسه بأن تستسلم للنّوم؛ لعلّه يكتشف أنّ يومه هذا مجرّد كابوس كريه سوف يستيقظ منه ليجد نفسه لا يزال يعيش في عالمه مكرّماً هانئاً بعيداً عن ترّهات الصّدق والتّوبة، فما له هو والصّدق وأفاعيله ودروبه؟!

تتنزّى بعض الدّموع من عينيه هاربة من قلبه المتفطّر الذي يتوق بعمق إلى التّوبة واللّقمة الحلال والحياة الصّالحة، فيمسح دموعه سريعاً بطرف قميصه المنقوع بعرقه النّهاريّ المجهد، ويصمّم على أن ينتقم من ذلك الزبّون الذي حوّل حياته إلى جحيم برشوة الحجّ التي قدّمها له، ويجزم في حوار خفيض مع نفسه -التي غارتْ في ظلام الغرفة التي يتقبّض فيها بالقرب من جدار بارد من جدرانها- بأنّ الصّلاح لا يتناسب مع روح هذا العصر، وأنّ الخير والشّرف قد مضيا بمضي زمان الأنبياء والصّالحين والمعجزات والكرامات، وأنّ عليه أن يعيش الحاضر بفلسفة اللّصوص وقطّاع الطّرق والشّطار والعيّارين والمكدّين.

يشعر بالعطش الشّديد والجوع الذي يأكل أمعاءه، لكن البرد القارس هو من يحتلّ الصّدارة في تعذيبه، إلاّ أنّه يعجز عن الحركة من مكانه لأجل أن يحرّك ساكناً حيال معاناته هذه، فيقرّر أن يغمض عينيه لينغمس في كوابيسه، ليستيقظ منها بأسرع ما يمكن؛ ليعود إلى عالمه السّعيد الذي أهدره في يوم واحد لأجل الصدّق المأفون الذي أراد أن يعيش في ظلّه.

سريعاً ما تتلقفه الكوابيس، لكنّه يركلها الواحدة تلو الأخرى، فتبتعد جميعها عنه، فيبتسم ابتسامة عريضة منتصرة.

وفي الصّباح عندما يستيقظ يحاول بإصرار أن ينسى يومه الماضي بما فيه من صدق مؤسف جدّاً، ويفكّر مليّاً في خطتّه الجديدة لأجل تصويب أخطاء صدقه في سبيل استرداد عالمه المخادع المزوّق المريح، فما له والحجّ والصّدق ودروب الصّالحين؟ فهذا العالم يسير وفق مخطّطات الأوغاد واللّصوص.

يردّد أكثر من مرّة بنبرة واثقة جهوريّة: "نعم، هو عالم الأوغاد، وكي أعيش فيه عليّ أن أكون وغداً، وأن أنسى تماماً اليوم الصّادق الوحيد في حياتي؛ فقد كان مؤسفاً جدّاً".

يغزوه حماس مداهم، يفتح جهازه اتّصاله النّقّال، ويطبع على شاشته اسم زوجته ليتصلّ بها، فتكون أوّل من يصالحها في هذا اليوم الذي سيجتهد أن يكون يوماً كاذباً مسعداً جدّاً.

كاذبون بمنتهى الصّدق

كاذبون بمنتهى الصّدق

"ذكر مولانا الكذب إنّ الإتقان باب من أبواب الصّلاح، ولو كان إتقان مفسدة، أو إحكام بدعة"

"يروى عمّن لا نعرف من يكونون إنّ الكذب الخالص هو بمنزلة الصدّق الذي تشوبه نقيصة"

(1)

الحبّ والكذب هما ما يجمعان بينهما؛ هي تعشقه، وهو متيّم بها، هي وُلدت فاقدة لنعمة النّظر، وهو وُلد فاقداً فقداناً كاملاً لنعمة الجمال؛ فجماله لا يفوق جمال سلمندر بريّ أو يرقة قزّ أو دودة الأرض.

إلاّ أنّ لا أحد منهما قد فقد القدرة على الحبّ والتّضحية لأجل الآخر؛ فهو يسعى لإسعادها بأيّ شكل كان، ولذلك هو يكذب عليها، ويخبرها بأنّه أكثر الرّجال وسامة كي تسعد بحبّه لها، وتشعر بفخر بانحيازه لها بكامل جوارحه، كما يكذب عليها دون توقّف عندما يخبرها أنّ فقدها للبصر لم يزدها إلاّ جمالاً وأنوثة وبصيرة، في حين يبذل جهده كاملاً كي يساعدها في التّأنّق وفي إنجاز مهامها كي لا تشعر بمنقصة في روحها.

أمّا هي التي تُجيد رسم الملامح في ذهنها فور لمسها لجغرافيا الوجه، فتتظاهر بأنّها تصدّق أنّه رجل وسيم، وتبتلع معرفتها لحقيقة دمامته، وتناديه بصفة حلوي الفاتن، وتصف لصديقاتها مدى وسامته، وتتجاهل همسهنّ سخرية من جهلها لحقيقة قبحه المنفّر.

هي تحبّه، وتكذب مليّاً لأجل هذا الحبّ، وهو يعشقها، ويكذب بإصرار لأجل هذا العشق.

(٢)

جمالها الفتّان المُغيظ كان هويّتها الكبرى في الحياة، لقد اعتادتْ على أن يصفها الجميع بالجميلة، وأن يدور الكلام والهمس حول سحرها القابع في وجهها النّضر وجسدها التّحفة، لكن حياتها انقلبت نكداً وغمّاً عندما تزوّجت حبيبها الشّاب، وانتقلت للعيش معه في حارته القديمة حيث يمتلك شقّة صغيرة تملّكها من أهله الذين اقتطعوها من بيتهم القديم لتكون شقّة له كي يتزوّج فيها، وهو من لا يستطيع براتبه المتضائل أن يكتري شقّة للعيش فيها مع زوجته الفاتنة الجمال، فضلاً عن شراء شقّة مناسبة لهما.

نساء الحارة جميعهنّ ناصبنها العداء بسبب جمالها الذي لفت نظر أزواجهنّ إلى فظاعة قبحهنّ مقارنة بوجهها الذّهبيّ الصّبوح، أمّا رجال الحارة، فتمنّوا من أعماقهم أن تنشق الأرض لتبتلعها، فلا يطالعهم جمالها المحرق من جديد، فتبرد نيران شهواتهم، وتنقلع من أرواحهم أشواك حرمانهم من العبّ من سحرها.

آلمها هذا الكره المجاني لجمالها السّماويّ، ثم آلمها أكبر اللّقب الذي ألصقته النّساء بها؛ إذ أسمينها وفاء البشعة، ولكنّ ألمها تحوّل إلى راحة عندما وجدت الكره لها ينحصر بعيداً عنها عندما شاع هذا اللّقب في الحيّ، والتصق بها، ومع الوقت استعذبته جدّاً؛ فكلما جأرت النّساء بلقب وفاء الشّنعة سمعت كلمة جميلة في لقبها الجديد، ومع الوقت أصبح لقب وفاء الشّنعة الملتصق بها يعني عند الجميع في الحارة الجميلة جدّاً.

(٣)

لو كانت الطّفولة تستطيع أن تنطق بطلاقة وبيان لنطقت طفولتها الصّغيرة البريئة ذات الأعوام الثّلاثة السّماويّة، وقالت ببلاغة ووضوح: "أنا أحبّ سمكتي الجميلة الحمراء اللاّمعة".

هذه السّمكة الأنيقة التي حصلت عليها هدية في عيد ميلادها الرّابع تشدّ انتباهها، وتشغل بالها، هي تتحرّك ببطء في الماء المنقّى الذي تقبع فيه في بلورة زجاجيّة مثبت عليها زينة حمراء، وشريط ذهبيّ مربوط على ورقة صغيرة مكتوب عليها بعض الكلام الذي لا تستطيع أن تتبين حرفاً منه؛ لأنّها لم تتعلّم حرفتي القراءة والكتابة بعد.

تشعر أنّ سمكتها حزينة؛ لأنّها تكاد تختنق في الماء في هذا الوعاء الزّجاجيّ؛ فأمّها أخبرتها أكثر من مرّة أن تبتعد عن بركة ماء الجيران؛ لأنّها إن وقعت فيها فسوف تغرق، وتموت.

إذن هذه السّمكة الصّغيرة المسكينة تختنق في الماء، ولا أحد يفكّر في إنقاذها. بحركة سريعة تمدّ يدها الصّغيرة في بلورة الماء الزّجاجيّة، وتخرج السّمكة من الماء، وتأخذها إلى حضنها فرحاً بها بعد أن أنقذتها من الموت غرقاً في الماء!

(٤)

ذلك السّياسيّ المحنّك أتقن الكذب والسّرقة، كما أتقن أن يقوم بهما بحرفيّة مجيدة؛ فهو يفضّل الأناقة والحرفيّة على عمل الهواة، وتجارب المبتدئين؛ ولذلك عندما يكذب، فهو يقدّم الكذب وجبة شهيّة في أطباق ذهبيّة وفضيّة؛ فهو يفضّل الكذب راقياً وحسّاساً وخفيف الظّلّ.

عندما يتحدّث عن إنجازات حزبه السّياسيّ الحاكم للجمهوريّة، يبتسم ابتسامة عريضة تكفي لتشقّ وجهه بالعرض، ثم يقول بثقة طاغية: "إنّنا نفخر أنّنا لم نسمح لأحد بأن يسرق الغضب من شعبنا الأبي؛ لقد حرصنا على أن نذكي لهم هذا الغضب كي لا يُحرموا من ظلال إبداعه، وأفانين منجزه".

(٥)

لم تكن نموذجاً للجمال والفتنة، بل إنّ رصيدها من إعجاب الرّجال بها كان الأقل بسبب نحافتها المفرطة، وصفرة وجهها، وبروز أرنبة أنفها، وشدّة اتّساع فمها، وبروز أسنانها العليا، وشدة ضيق محجري عينيها، وقبح غمازات خديها المتحفّزين في وجهها النّحيف، مثل شقّ خنجر في جذع شجرة جافة، إلاّ أنّها صمّمت على أنّها مثال للجمال الذي لا يدركه إلاّ أمثالها من البشر.

غابت سنوات عن الأصدقاء والأقارب، ثم عادت من رحلة مجهولة الوجهة، بعد أن قصّرت ملابسها حدّ الكشف عن عورتها، ونصّبت ثدييها بـ(السّيلكون) حتى كادا يرتطمان بذقنها، ولوّنت شعرها باللّون الأشقر الأرنبيّ الذي تفضّله النّساء الأرستقراطيات طمعاً في أن ينهين حيواتهنّ بشقرة مزوّرة.

الآن هي مصممة أزياء شهيرة كما تزعم القناة الفضائيّة التي أسندت لها وظيفة تقديم برنامج شهير عن تصميم الأزياء وتجميل النّساء، وهي أجادت أن تكذّب حقيقة قبحها، وأن تصفع كلّ من وصفها بالقبح، بعد أن جعلت همّها الأكبر منحصراً في تحويل كلّ امرأة تستضيفها في برنامجها

لتجميلها إلى صورة عنها، فكلّ امرأة تستسلم ليديها تحوّلها على الهواء مباشرة إلى نسخة من ملامحها وقبحها، ولا تتركها إلاّ وهي تملك نحافتها المفرطة، وصفرة وجهها، وبروز أرنبة أنفها، وشدّة اتّساع فمها، وبروز أسنانها العليا، وشدة ضيق محجري عينيها، وقبح غمازات خديها المتحفّزين في وجهها النّحيف، مثل شقّ خنجر في جذع شجرة جافة.

(٦)

الفقر والبطالة وأسرته التي تتضوّر جوعاً وكثرة إلحاح الدّائنين عليه، جعلته يقرّر أن يعدم عالمه كلّه لينجو من عذاباته المقيمة في روحه، ولذلك قرّر أن يصعد ذلك السّطح في أعلى مبنى في المدينة، وأن يلقي بنفسه منه؛ ليهوي أرضاً ميتاً ليتخلّص من قهره وحرمانه.

خطّة انتحاره أسهل من أن تحتاج إلى ترتيب أو تخطيط، بمجرّد أنّ يقف الآن على حافّة الجدار أعلى السّطح، يستطيع أن ينفّذ خطّته بكلّ سهولة، فيلقي بنفسه إلى الهاوية بخطوة واحدة من إحدى قدميه.

هو مستعدّ تماماً لهذه الخطوة التّاريخيّة في إنهاء وجوده على كوكب الأرض، ولكن أولئك النّاس ورجال الأمن الذين يطوّقون المكان في أسفل البناء يطالبونه عبر مكبّرات الصّوت بعدم الانتحار، وهو اضطر إلى أن يستجيب لنداءاتهم بعد مفاوضات طويلة معه، تمخّضت عن وعد حكوميّ عاجل بحلّ مشاكله التي دفعته إلى قرار الانتحار.

ولم يطلْ الانتظار به حتى برّت الحكومة المجيدة بوعدها لحلّ مشاكله التي دفعته إلى قرار الانتحار؛ إذ أصدرت قانوناً يلزم المباني الخاصّة والعامّة

بإغلاق أبواب أسطحها، وبذلك ضمنت أن لا يلجأ إليها أيّ يائس ما لأجل الانتحار.

وهكذا لم يعد أمامه خياراً للانتحار سوى الانتحار بالقهر والموت بذبحة صدريّة عاجلة.

(٧)

"حتى القتل له أدبياته وأصوله"، هذه هي جملته الذّهبيّة الثّابتة التي يكرّرها على مسمع كلّ من زبائنه الذين ينهالون عليه لأجل أن يؤدّي لهم خدمة واحدة مأجورة، وهي أن يقتل لهم عدّواً أو خصماً أو منافساً.

ومقابل هذه الجملة الرّكن في كلّ اتّفاقيّة يأخذ المزيد من المال؛ إذ هو يتقن عمله، ويراقب طريدته المستهدفة بحرفيّة، وفي الوقت المناسب والشّكل المناسب يحصد رأسها، ويستوفي باقي أجره، ويمضي منتظراً مهمته المقبلة.

قلّما يجادله الزّبائن في مقدار أجره، أو طريقة تأديته له؛ فتحقيق الهدف عند غالبيتهم أغلى من أيّ مال مبذول، أمّا زبونه هذا، فقد وعده بمضاعفة الأجر له إن قتل المرأة الهدف في ظرف أسبوع لا أكثر، لكنّه رفض هذا العرض المغريّ، وردّد على أذنيه جملته التي سنّها قانوناً لعمله "حتى القتل له أدبياته وأصوله"، وصمّم على أن يستوفي وقته كاملاً في دراسة مهمته المتمثّلة في قتل هذه المرأة، بعد أن يدرس الحالة بدقّة، ويراقب الهدف مراقبة حثيثة وفاحصة؛ فهو لا يقتّل بمنطق صائد الطّرائد في الغابة، بل بمنطق الفنّان الذي يدرس إمكانيّة تشريح الفريسة بشكل فنّي قبل أن يصطادها.

بدأ مهمّته بطريقته، وأخذ يراقب المرأة الهدف ليصطاد اللّحظة المناسبة كي يرديها أرضاً قتيلة، المراقبة في بدايتها كانت وظيفيّة خبراتيّة مجرّدة

من أيّ حماس أو دافع، ولكن مع الوقت أصبحتْ متعة وإشباع فضول، ومن ثم تلبية لرغبة ماسّة في رؤيتها، وسرعان ما تحوّلت المراقبة إلى ولهٍ يدفعه إلى أن يقترب منها، وأن يلتقي بها.

وأخيراً التقاها بطريقة تمثيليّة رومانسيّة مصنوعة بابتكار، وسرعان ما طار قلبها إليه، ولم يطل الوقت حتى عرف منها سبب رغبة ذلك الزّبون في قتلها؛ فهو يعشقها عشقاً آثماً، ويريد أن يجرجرها إلى دنيا الرّذيلة ليقضي وطره منها، فلما صدّته شرّ صدّ، وأهانت كبرياءه المزوّر باحتقارها له، قرّر أن يقتلها ليتخلّص منها، ويطفئ بموتها جذوة الغيرة والحرمان التي تزداد أواراً كلّما رآها تعبر في حياته كغزال كلّه كبرياء، وتأبّ عليه، ورفض له.

في الوقت المحدّد كان عليه أن يؤدّي مهمته المُكترى لأجلها، وقد أدّاها بكلّ دقّة وإخلاص، فهو ملتزم بقاعدته الثّابتة "حتى القتل له أدبياته وأصوله"؛ ولذلك فقد حرص على أن يضع أجرته كاملة في جيب زبونه الذي قتله بدل أن يقتل المرأة التي كلّفه بقتلها، وتركه يزبد متخبّطاً في دمه وروحه تنزع منه، وهو يرقب القاتل المأجور يبتعد متأبّطاً ذراع المرأة التي أحبّها.

(٨)

ينتقد دائماً السّلوكيّات الذّكوريّة العنصريّة التي تهبط بالمرأة إلى درك التّحقير، في حين تسمو بمكانة الرّجل ليس إلاّ لأنّه ذكر، يهاجم المجتمع الذّكوريّ بشراسة، وأنصاره من النّساء يفقن عدداً عدد جيش البلاد؛ فهو حلم كلّ امرأة وفتاة بسبب أفكاره المتحرّرة، وطروحاته السّامية التي جعلته يطوّف العالم، ويمسح الحزن عن قلوب نساء العالم، ويدعوهنّ إلى الإيمان

بطاقاتهنّ ومواهبهنّ، والعمل على أن يحظين بما يستحققن من الفرح والسّعادة والعدالة.

عندما عاد إلى الوطن كانت شهرته قد طبّقت الآفاق، فاستقبلته المؤسّسات النّسويّة باحتفاء منقطع النّظير، وفي أوّل لقاء تلفزيونيّ جماهيريّ معه، سألته مذيعة البرنامج: "سيدي الكريم، في ختام هذا اللّقاء الممتع التّاريخيّ معكَ، هل تسمح لنا بأن نسألكَ أين مكان زوجتكَ في حياتكَ؟"

ابتسم لها ابتسامة عريضة مديدة بقدر مساحة كاميرا التّلفاز، وردّ عليها قائلاً بعفويّة واندفاع جامح: "مقصوفة الرّقبة مكانها الطّبيعيّ في البيت مع القواعد من النّساء!"

(٩)

لا يخجله أنّه لص محترف شهير؛ لأنّه يصمّم على أن يكون لصّاً شريفاً؛ فهو لا يسرق إلاّ بقدر حاجته الشّخصيّة، ولا يسرق إلاّ ممّن يثبت عنده أنّه لص كبير دون شرف، كما أنّه يحرص على أن يتصدّق بجزء ممّا يسرقه على الفقراء والمساكين والمعوزين والمحرمين، إذ يتصدّق عليهم من خلف الأبواب كي لا يرى في عيونهم ذلّ العوز، ومهانة مدّ اليد، وكم من مرّة ردّ ما سرقه إلى المسروق منه؛ لأنّه اكتشف أنّه مستور الحال، وفي حاجة ماسّة إلى هذا المال.

وقد ذاع صيته بين النّاس حتى أسموه جابر عثرات الكرام، وما عاد أحد يسمح لنفسه بتلقيبه باللّص، بل إنّ الكثيرين يبجّلونه منذ أن قام بسلسلة من عمليّات الإنقاذ والمساعدة لأناس سطا على بيوتهم ليسرقهم، فوجدهم في حالات تحتاج إلى إنقاذ عاجل أو إسعاف طبيّ سريع، فكان

ينقذهم، ويطلب العون لهم، ولا يتركهم حتى يتجاوزوا مرحلة الخطر، ثم يولّي هارباً، وعيونهم تفيض له بالشّكر والتّقدير.

لقد أصبح مصدر فخار للصوص الشّرفاء والشّرفاء اللّصوص، إلاّ أنّه كان يزعج ذلك الضّابط اللّص الذي يريد أن يلقي القبض عليه؛ لأنّه يشاركه عنوة وجبراً في سرقاته من النّاس والمساكين واللّصوص الكبار، فغدا طِلْبته وطِلْبة أسياده من اللّصوص المتنفّذين، وما استطاعوا أن يلقوا القبض عليه إلاّ بشق الأنفس وتآمر الخونة؛ إذ قبضوا عليه وهو يوزّع على الفقراء بعض ما سرقه من اللّصوص الكبار، إلاّ أنّ أحد الفقراء الخونة قد وشى به.

كان الضّابط يسير بكبرياء متبختراً بين الجنود، وهم يكبّلون اللّصّ الشّريف بالسّلاسل خوفاً من أن يهرب منهم، أمّا اللّصّ فكان يبتسم بسخرية بادية لأنّ لصّاً وغداً قد ألقى القبض أخيراً على لصّ شريف!

(١٠)

على الرّغم من أنّه وصل إلى الكرسي المنجّد الذي يتشبّث به عبر دغل من العلاقات المشبوهة والمساعدات المسمومة، إلاّ أنّه يصمّم على أنّ يتمّ تعيين سائق جديد للوزارة عبر منافسة شريفة وكفاءات عالية؛ فهو يريد أن يبرهن للمسؤولين الأعلى رتبة منه وللجماهير المتابعة لعمله أنّه حياديّ وموضوعيّ ومُجنّد لخدمة الوطن عبر الشّفافيّة والحياديّة والمصداقيّة؛ ولذلك فقد أوعز بنشر إعلان للتّوظيف وفق شروط واضحة ومحدّدة.

وفي أيّام قليلة وصل عدد المتقدمين لهذه الوظيفة المتهالكة الرّاتب والامتيازات إلى أكثر من ألفي شاب عاطل عن العمل، وكي يستطيع انتقاء متقدّم واحد لهذه الوظيفة، فقد زاد الشّروط شروطاً أخرى أكثر صعوبة

ليصبح من الواجب على المتقدم لهذه الوظيفة أن يكون من حملة درجة الدّكتوراه في تخصّص من التّخصّصات العلميّة، وأن يجيد ثلاث لغات عالميّة على الأقل، وأن يكون قد نشر أكثر من خمسمائة بحث حول الاتّصالات والمواصلات في مجلات عالميّة محكّمة، وأن يكون له ما لا يقل عن عشرين براءة اختراع، ولا بأس أن يكون شهيداً في معركة وطنيّة مشرّفة، ومن المقبول أن يكون قد قاد جيشاً وطنيّاً في فترة تكوينه، ومن الضّروريّ في حالة توفّر هذه الشّروط جميعها أن يكون صاحب مواهب خاصّة وموثّقة وحاصل فيها على جوائز عالميّة، ويفضّل أن تكون أولمبيّة.

لقد أبدى المسؤولون في الوزارة إعجابهم بهذه الشّروط الدّقيقة في اختيار سائق جديد للوزارة، وأثنوا على نباهة من وضع هذه الشّروط المعجزة، وفي النّهاية باركوا اختيار السّائق الذي تمّ اصطفائه عبر متابعة مباشرة من صاحب الكرسي المنجّد الذي فخر بأنّه وجد من تنطبق عليه الشّروط كاملة، وهو أحد أقاربه من ناحية عمّة جدّته لأمّه.

وكلّما سأله أحد عن الشّهادات التي يحملها الفائز بهذه الوظيفة، ابتسم وصمت، وتمتم في داخله قائلاً: إنّه يحمل شهادة تطعيم ضد الأمراض السّارية، وشهادة راسب في الثّانويّة العامّة، وشهادة راسب في فحص العيون، وشهادة التصاق الفخذين لإعفائه من الالتحاق بالتّجنيد الإجباريّ.

(II)

لا أحد يتقبّل إلاّ جملة الحمد لله أنا في خير، جواباً على الأسئلة جميعها حول الأحوال والأفعال والظّروف والمعطيات والرّضا والقبول والارتياح، وهو خير من يستخدم هذه الجملة؛ فهو في دائم الحال شاكر

وحامد وفي ألف خير مزعوم، لكنّه لا ينجح في رسم الابتسامة على وجهه أبداً عندما يقول هذه الجمل المزوّرة؛ فذلك فوق احتمال فقره وضنكه وشظف حياته.

منذ بضع سنوات انقطع لحضور الدّروس الدّينيّة التي تُقام على هامش الجنازات في مسجد المقبرة التي يعمل قيّماً عليها، وسريعاً ما اكتشف أنّ جوابه المتلخّص أنّه في خير هو ضرب من الكذب؛ لأنّه في حقيقة الحال في شرّ حال، ومنذ ذلك الوقت غدا يكتفي بجملة "الحمد لله" جواباً على أيّ سؤال حول حاله ورضاه، دون أن يلحق بجملته الأولى جملة "أنا في خير".

ومنذ أخذ قراره بأن يكون جوابه على كلّ سؤال يوجّه إليه هو "الحمد لله"، باتت عنده عادة تجريب كلّ قبر قبل أن يُدفن فيه الميت، فما أن ينتهي الحفّارون من حفر القبر حتى يتمدّد فيه، ويعاين ارتياحه فيه، ثم يخرج منه حزيناً؛ لأنّه ليس الميّت ليرتاح من هذه الحياة المرهقة، ولكن ما يصبّره على لوعة الخروج من القبر الذي يجد الرّاحة فيه أنّه متأكّد من أنّه سوف يرتاح فيه في يوم ما مهما طال انتظاره لهذا الارتياح الوحيد في حياته.

وكلّما خرج من القبر بعد أن قاسه وجرّبه، ابتسم لمن حوله من الحفّارين وعمّال الجنائز، وقال لهم بصرامة دون ابتسامة واحدة: "الحمد لله على كلّ شيء".

(١٢)

جميعهم لا يقبلون أيّ ابتذال أو رذيلة أو منقصة؛ ولا عجب في ذلك، أليسوا جميعاً من الأساتذة الجامعيين أصحاب الرّتب العلميّة الرّفيعة والسّير الشّريفة، ولذلك كان من الطّبيعيّ أن يغضبوا غضبة رجّل واحد

على قلب تقيّ ورع عندما وصلتهم تلك الرّسالة الجنسيّة على المجموعة الجماعيّة في برنامج التّواصل المثبت على أجهزة اتّصالاتهم النّقالة، كانت رسالة غير متوقّعة فيها مقطع جنسيّ إباحيّ موسق ومثير وتعلوه التأوّهات المثيرة.

جميعهم -دون تردّد- انسحبوا من تلك المجموعة المخصّصة لتدارس قضايا الأبحاث العلميّة والمؤتمرات المحكّمة بعد أن كتب كلّ واحد منهم رسالة احتجاج على الرّسالة الجنسيّة، وسبّ ولعن مَنْ أرسلتها على المجموعة.

وفي غضون دقائق تنافسوا سرّاً على التّواصل الفرديّ مع صاحبة تلك الرّسالة الجنسيّة الفاضحة، وطالبوها بالمزيد من المقاطع الإباحيّة التي على شاكة ذلك المقطع الإباحيّ الذي وصلهم على المجموعة الإلكترونيّة، فألهب مشاعرهم، وأيقظ جوارحهم.

وظلّوا ينتظرون على جمر المقطع المقبل المفترض من صاحبة الرّسالة الجنسيّة التي أشبعوها سبّاً وشتماً ولعناً على العلن، في حين تحرّقوا في الخفاء على التّواصل معها، ولعق حذاء رضاها.

(١٣)

أشدّ ما يفخر به في دنياه أنّه ابن شهيد، لكنّه كان يبغي من الحياة أن تعوّضه ببعض الكرم عن آلام يتمه وفقره ووحدته وضعفه، لكن السّادة الأوغاد الذين صدفهم -لتعاسته- في حياته علّموه أنّ الحظوظ والأقدار في الحياة جميعها وراثيّة؛ فعندما حاول أن يتعيّن في وظيفة محاضر في الجامعة بشهادته الجامعيّة عرف من العميد أنّ هذه الوظيفة محجوزة لابنته البلهاء؛

فابنة العميد يجب أن تصبح عميدة فيما بعد، وعندما حاول أن يحصل على عمل في السّلك الدّبوماسيّ رُفض، وأُقصي ببشاعة؛ لأنّ هذه الوظائف محجوزة حكراً لأبناء السّفراء والدّبلوماسيين السّابقين؛ فابن السّفير يجبّ أن يكون سفيراً، أمّا عندما قاتل بكلّ ما أوتي من قوة ليعمل في مؤسّسة الإذاعة والتّلفاز، وصدّر لهم وجهه البهيّ وصوته الجهوريّ الجميل ولغته الجميلة سخروا منه، وألقوا به خارج المؤسّسة مثل كيس قمامة.

عندها فهم أنّ الإعلاميّ النّاجح يجب أن يكون ابن إعلاميّ شهير ومتنفّذ، ولذلك لم يستغرب أن رفضت دائرة الإفتاء أن يعمل فيها ولو في وظيفة إمام في مسجد في أبعد الأقاليم مسافة عن العاصمة؛ فالشّيخ يجب أن يكون ابن شيخ شهير، ومعمّم له يد طويلة في المؤسّسات الخيريّة والتّطوعيّة وحتى الرّبحيّة الدّينيّة.

لقد باء بخيبة الأمر والإهانة والطّرد وكسر شوكة نفسه مرّة تلو أخرى، إلاّ أنّه لم يجرؤ على أن يصبح مجرماً مرّوعاً للسّادة اللّصوص؛ إذ قال له خبير مختصّ في عالم الإجرام: "إنّ هذه المهنة تحتاج إلى خبرة أسريّة تاريخيّة كي تنجح فيها". وهذا ما يستطيع أن يلخصّه في إنّ المجرم النّاجح يجب أن يكون ابن مجرم عتيد.

واستمرّ يجري في عذاب هذه السّاقية الجنّميّة حيث ابن اللّص هو لصّ، وابن المحظوظ هو محظوظ، وابن المدلّل هو مدلّل، حتى ابن المنكود يجب أن يكون منكوداً، وابن الفقير يجب أن يظلّ فقيراً، وابن المطحون يجب أن يقبل أن يُداس بالأقدام، وابن المسحوق عليه أن يسعد بقدره هذا، بل وأن يسعى إليه.

لم يطل المقام به حتى اقتنع مجبراً بأنّ ابن الشّهيد يجب أن يكون شهيداً كذلك؛ فحاول الالتحاق بالجيش؛ لكنّه ما وجد له مكاناً هناك؛ إذ إنّ ابن القائد يجب أن يكون قائداً، لذلك فقد تطوّع مباشرة مع الفدائيين؛ لأنّه أدرك أنّ القدر قد جاد عليه بالبنوّة لشهيد طاهر، ولا يجوز له أن يرث لصّاً أو انتهازيّاً، وبات يحلم في كلّ ليلة بجنّة المنتهى التي تحلّق روح والده فيها، ويستعدي الموت كي يلحقه به حيث سماوات والده الشّهيد؛ فالشّهيد يجب أن يمضي ابنه شهيداً كذلك.

(IE)

إنّه سيّده الجديد، وعليه أن يكون كلبه المطيع كما تطيع الكلاب جميعها أسيادها أيّاً كانوا، لا يروق له هذا السّيّد الجديد؛ فهو جلف وبخيل عليه ، ويجبره على الرّكض معه في رياضة الصّباح في متنزّه المدينة بشكل يوميّ، أمّا سيدته الأولى التي تركته، وسافرت بعيداً، فقد كانت رقيقة كريمة معه، تطعمه اللّحم بسخاء، وتتركه مستلقياً في الظّل طوال اليوم دون أن تجشّمه تعب الجري أو الحراسة.

لكن عليه أن يقبل بقدره وحظّه، ويظلّ يركض مع سيّده الجديد الغليظ حتى يجد له سيّداً آخر أرحم منه، وعليه كذلك أن يتمحّك بكلّ سيّدة يقف سيّده معها في المتنزّة، ويحاول استمالتها إليه بالسّماح لها بمداعبة كلبّه الذي يزعم أنّه يعشق عطور النّساء الجميلات، ويهوى مداعبة سيقانهنّ الرّشيقة، ويجري خلفهنّ بإرادته الحيوانيّة الفطريّة، لا بإيعاز من سيّده الذي يهوي اصطياد النّساء في حلبات الجري.

تلك المرأة التي تقبل نحوهم الآن تروق له، وليتها تكون سيّدة له؛ فهي غاية في الجمال، ولكنّها تسارع في الاقتراب من سيّده، فتصفعه بشدّة، وتصرخ في وجهه قائلة بانفعال بادٍ وبأنفاس مقتطّعة: "أنتَ أحقر رجل في الكون، أخيراً رأيتكَ ها هنا بالصّدفة. لماذا اختفيتَ فجأة؟ هل هربتَ منّي كي لا تفي بوعودكَ لي؟ فعلاً أنتَ كلب ابن كلب. لعنكَ الله يا كلب الرّجال".

ومرّة ثانية صفعت المرأة سّيده الرّجل، وأكملت هرولتها في المكان، وكأنّ شيئاً لم يكن، في حين تسمّر سيّده في مكانه، وهو يربت على خديه، كأنّه يحاول أن يمحو عنهما أثر الصّفعتين اللّتين هبطتا عليه للتّو، فيما غرق الكلب في اليأس وخيبة الأمل؛ فقد أيقن أنّ لا أمل له مع تلك السّيّدة الجميلة التي لا تحبّ الكلاب أكانت آدميّة أم حيوانيّة.

جارتنا أمّ الخير

جارتنا أمّ الخير

"هي لا تريد إلاّ رضا الله سبحانه وتعالى والإحسان إلى النّاس وحسن الخاتمة"، هذه هي جملتها التي لا بدّ أن تقحمها في أيّ حوار أو كلام أو تعليق تشارك فيه، بل إنّها تجعلها أحياناً مفتاحاً لأيّ حديث منقطع أو حاجة تريد أن تدركها، وفي الغالب تنجح في مسعاها ما دامت تعلّق أقوالها وأفعالها ونياتها بالله والعمل الصّالح والإحسان إلى النّاس وحسن الخاتمة،لا سيما أنّها تؤكّد صلاحها في نفس من تخاطبه حين تتبع جملتها الرّائقة للجميع بالتّسبيح تارة، وبتمتمات مجهولة المعنى تارة أخرى، ثم تستغرق في هلوسات مفتعلة بتسارع واضح يتناغم مع حركة إصبعها، وهو يزحلق حبّات المسبحة التي تحملها من جهة إلى أخرى، وكأنّها منهمكة في ابتهال عميق تناجي ربها به، ولا يمكن أن تخرج من تلك الحالة إلاّ إن كانت تريد أن تزجر طفلاً، أو أن تلعن قريباً، أو أن تنقضّ على طعام أو شراب، دون أن تنسى أن تؤكّد للجميع أن كلّ فعل تقوم به ليس إلاّ في سبيل مرضاة الله تعالى والإحسان إلى النّاس وحسن الخاتمة.

تخفي على الجميع اسمها واسم أسرتها، وتصمّم على أن يناديها الجميع بكنية أمّ الخير، وترفض أن ينادوها بكنيتها الحقيقة، وهي أم شحادة، وتقول إنّها ترفض أن تُنادى بكنية زوجها الطّبيب المتقاعد برتبة لواء من دولة أخرى؛ لأنّ شحادة هو ابنه من زوجته الأولى التي طلّقها منذ أكثر من نصف قرن، أمّا هي فلم تنجب منه؛ لأنّها تزوّجته بعد أن نشف رحمها، وجفّت روحها، وماتت ذكورته موتاً لا بعث له، ولو كانت أنجبت منه عندما تزوّجت به لأسمت ابنها البكر خيراً ،ولكانت كنيتها الآن أمّ الخير.

لكن خيراً الابن الحلم لم يأت أبداً كما اشتهتْ؛ ولـذلك فقـد قـرّرتْ أن تتكنّى باسمه حتى يوهـب لهـا في الفـردوس حيـث المكـان الـذي تعمـل باجتهاد كي تصل إليه، وحتى ذلك الوقت تصمّم على الانتقام مـن شـحادة وزوجته وطفلتيه الصّغيرتين الشّقراوتين كجدتهما لأبيهما المطلّقة منـذ دهـر؛ لأنّها لن تغفر للأرض أو للسّماء أو للبشر أجمعين أنّ عندهم أطفالاً وأبنـاء، وليس عندها إلاّ رحمها الجاف، وأحلام أمومتها التي لم تتحقّق، ولذلك تكيـد له ليل نهار، وتؤذيه ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وتقطع أوقاتها تدعو عليـه سرّاً في صلاتها متضرّعة لله أن ينتقم منه ومن أبيه بجريمـة أنّهـا لم تسـتطع أن تنجب خيراً، أمّا في النّهار والعلن، فتدعو له بالبركـة والخـير، وتكـزّ أسـنانها غيظاً عليه، وترقبه بحقد كما غولة تشتهي قرش عظام عدوها بعد نهش لحمه بأنيابها الزّرقاء، وكلّما عاتبها زوجها الطّبيـب علـى إسـاءاتها لابنـه شـحادة ولزوجته ولابنتيه الصّغيرتين برمت شفتيها عجباً ممّـا يقـول، وأقسـمت بـالله أغلظ الأيمان أنّها لا تبغي إلاّ رضا الله سبحانه وتعالى والإحسـان إلى النّـاس وحسن الخاتمة.

جاد القدر علينا، فكان من حسن طالعي وأسـرتي أن تكـون أمّ الخـير صالحة الزّمان وقدّيسته جارتنا القدريّة حتى الأبـد، وبـالغ الحـظ في الانحيـاز لي ولأسرتي فجعل أمّ الخير تسكن الشّقة التي تلصق بشقتنا بواجهـة كاملـة، وبذلك كان نصـيبنا الأوفـر في كوكـب الأرض في سمـاع تجـديفها وسـبابها لزوجها والنّاس في النّهار، وسماع جعيرها اللّيليّ وهـي تبكـي طـوال اللّيـل طلباً لعفو الله عن تجديفها النّهاريّ، وتوسّلاً له لينتقم لها من البشـر أجمعـين؛ لأنّها تكرههم كلّهم بتهمة حصولهم على أيّ سعادة قد يصـيبونها في الحيـاة؛

وهي لا تطيق أن ترى أيّ بشر يذوق سعادة، ولو كانت بمقدار لحسة إصبع لا غير.

ومن حسن صنائعها على الجيران جميعهم أنّها تسلّيهم يوميّاً بالجديد من مشاكلها ونكدها وبوائقها المبتكرة في سبّ الجيران، وبالاتّصال بالشّرطة للإبلاغ عن أيّ فرد منهم يبدي فرحاً أو احتفالاً أو يستقبل ضيوفاً أو زائرين أو مهنّئين، أوبضرْب خادمتها الإفريقيّة الطّفلة ضرباً يوجع عظامها، ويدمي قلب كلّ من يسمع صراخها المستنجد دون مغيث، وإن أعيتها الحيلة في إزعاج الجيران والإساءة إليهم، فهي لن تعدم وسيلة في الإساءة إلى أطفالهم الصّغار وترهيبهم وترويعهم، ولو حتى بالدّعاء عليهم بالموت تحت عجلات السّيارات التي تعبر المكان، وزجرهم كلّما لعبوا بالقرب من بيتها، وسكب الماء عليهم وهم يلعبون الكرة في ساحة العمارة كي تكسر فرحتهم بملابسهم الجميلة، وتنغّص عليهم أوقاتهم، وكم يطربها أن تدخل في شجار عبر النّوافذ مع الجارات عندما تنهر أطفالهنّ! فتغرقهنّ بسيل من الشّتائم، ثم تغرب بعدها في بكاء طويل تتعمّد أن تبتدعه، وهي تجلس على شرفة شقتها كي يسمع الجيران جميعاً قهر آذانهم نهيقها، وهي تبكي، وتحتسب الله عليهم، ثم تلعنهم مراراً، وهي تمنّ عليهم بأنّها لا تريد إلاّ رضا الله سبحانه وتعالى والإحسان إلى النّاس وحسن الخاتمة.

قليل هم سكّان الأرض الذين يستطيعون أن يذبحوا بين يديها أكثر من دقائق من أزمان أعمارهم ليسمعوا كلامها وشكواها ومنّها على العباد الذين تتصدّق عليهم بتالف طعامها، وممزق ملابسها، وقليل إحسانها؛ إذ هي أفضل إذاعة في الكون للمنّ المستمرّ غير المنقطع، فلا أحد مرّ بها في حياته، أو صادفها في سوق أو حفل أو فعاليّة أو مسجد أو شعيرة من شعائر

الله من صلوات أعياد أو تراويح أو دروس دينيّة إلاّ ويعرف قصّة كلّ قرش تصدّقت به في حياتها؛ فالجميع يعرف أنّها تتصدّق بعشرة طرود في رمضان توزّعها على الفقراء المنكودين الذين تفضح فقرهم، وتذلّ حاجتهم، ولا يمكن أن تسمح لأحد أن ينسى أنّها توزّع ملابسها القديمة الممزّقة التي تصلح أن تكون مماسح لأرضيّات الحمّامات أكثر من أن تكون ملابس لبشر، فهي أسمال متعفنة يعلوها جلخ تعرّقها المنتن.

أمّا تعاظمها المرضيّ، فيبلغ مداه ومنتهاه في عيد الأضحى؛ فبعد أشهر من تأميل كلّ من تعرف وتقابل بأخذ حصة من الأضحيات، وبعد أن تتشاجر مئات المرّات مع الرّاعي الذي يرعى أضحياتها حتى تكبر، وبعد أن توزّع صور أكباشها على وسائل التّواصل جميعها حتى تغدو أكباشها أشهر من نجوم السّينما؛ فهي تذبحها في كرنفال احتفاليّ تبرز فيه مواهبها في المنّ وتمجيد ذاتها، ثم تشنّ حملة توزيع عملاقة في الحيّ يشارك فيها أطفال الجيران جميعهم مكرهين كي توّزع حصص لحم الأضحيات على الجيران، فلا تعطي أحداً غير قطعة صغيرة واحدة من اللّحم الذي لايكفي لإشباع جوع هرّة وليدة، ولكنّه يكفي عندها لتمنّ على من أطعمتهم من الأضحية حتى العام المقبل.

وويل لمن تسوّل له نفسه أن ينسى تمجيد قطعة اللّحم التي أكلها من أضحيتها تمجيداً موصولاً لعام كامل، فعندها تسبّه وتلعنه، وتلعن من أنجباه، وتطالبه بقطعة اللّحم التي أكلها، دون أن تنسى أن تمطره بجملتها المعهودة "أنا لا أريد سوى رضا الله سبحانه وتعالى والإحسان إلى النّاس وحسن الخاتمة".

جارتنا أمّ الخير -التي ألقّبها سرّاً بجارتنا معدومة الخير- تزعم أنّها أنثى مكتملة الحضور والأداء، وتنسى أن تنظر في مرآتها لترى قامتها الطّويلة

مثل قامة ناطور، وتدرك مقدار القبح الذي حفره الحقد في ملامحها، ولكنّها تتحسّس دائماً ثديها الذي بتره الأطبّاء كي يمنعوا انتشار السّرطان في جسدها، وتغتنم الفرصة كاملة لتلعن خادماتها الخمس اللّواتي تجزم أنّها أصيبت بالسّرطان بسبب سحر أسود سلّطنه عليها كي ينتقمن منها؛ لأنّها كانت تصمّم على أن تدعوهنّ إلى الإسلام، وأن تحجبهنّ قهراً، وأن تحفظهنّ القرآن على الرّغم من أنّهن لا يجدن العربيّة أصلاً، ولا يعنيهن من علاقتهنّ بها سوى أن يحصّلن المال كي يبعدن عن أسرهن غوائل الفقر ومكاره الحاجة.

وذكر الخادمات يفتح قريحة جارتنا أمّ الخير كي تعدّ على مسامعنا عدد اللقّم التي أكلنها في بيتها، والملابس المهترئة التي وهبتها لهنّ من أسمال ملابسها، وعندما تدركها جلالة اللّحظة لا تنسى أن تتفاخر بعدد الصّفعات التي ألصقتها في وجوههنّ السّمراء الكاسفة، وعدد الرّكلات التي ركلتهنّ بها، ومقدار الجهد الذي بذلته لصون شرفهنّ متناسية أنّ أحداهنّ هجرت بيتها ليلاً شبه عارية هرباً من ظلمها وجورها وتوحّشها وبخلها لتتلقّفها أيدي تجّار الرّقيق الأبيض، وأنّ أخرى أجبرتها على القبول باغتصاب زوجها المكرور لها كي لا تنفضح القصّة في الحيّ وبين الأقارب والأصدقاء، وأنّ ثالثة طردتها من عملها؛ لأنّها رأتها تنهال بقبلها الحرّى على الحارس النّيجيريّ الذي ينظّف سيّارات العمارة بمكافآة ماليّة أسبوعيّة، في حين كانت تجوّعهنّ، وتجبرهنّ على أكل بقايا طعامها، وتحرّم عليهنّ أكل الفواكه أو الحلويّات أو الحليب أو المكسّرات، لتتبرّع بها للمسجد والفقراء، وتترك الخادمة المسكينة تتضوّر جوعاً وحرماناً.

إنّها فقط تتذكّر أن تؤكّد لنا في جلسة سماعنا الإجباريّة لها "إنّها تبغي رضا الله سبحانه وتعالى والإحسان إلى النّاس وحسن الخاتمة".

لا أحد في الدّنيا يستطيع أن يفهم من جارتنا أمّ الخير لماذا هي على علاقة عداء مع إخوتها جميعاً؟ ولماذا ماتت أمّها غاضبة عليها؟ ولماذا ألصقت جريمة الزّنا بزوجة أخيها كي تسمها بالعار طوال حياتها؟ ولماذا لا صديقة لها في الحياة؟ ولماذا تكره الابتسام؟ ولماذا تكره الصّور الفوتوغرافيّة؟ ولماذا تصمّم على زراعة الزّهور في شرفتها وهي تبخل عليها بقطرة ما؟ ولماذا تضع زيراً في الشّارع ليشرب المارّة منه، ثم تسبّ كلّ من يشرب منه، وتنهر الأطفال العطاش إذ مرّوا للشّرب منه،وتمنعهم من ذلك؟

لكنّها فقط تجيب عن سبب شجارها الدّائم مع زوجها الطّبيب المتقاعد، وتستقتل كي تفضح معايبه ومخازيه، حتى ما عاد هناك أحد في الكون لا يعرف أنّه بخيل، وأنّه لص مرتشٍ، وأنّه سرق أموال الثّورة، وأنّه تعاون مع عدوّ الوطن، وأنّه هرب من بلده بعد أن ثبتت عليه تهمة الخيانة العظمى، وأنّه قاطع رحم، وأنّه أسلم أحد أخوته الثّوار ليقتله الأعداء، في حين تخلّى عن الثّاني المريض العاجز، وقصر حياته ليكون تابعاً لأخيه الثّالث القاتل المأجور، وأنّه طلّق زوجته الأولى بعدما ضاقت ذرعاً بسوء خلقه بعد زواج قصير أورثها طفلين منه، وأنّه يعيش الآن ليأكل كبعير دون هدف أو عبادة أو صلاح أو خير.

من في الدّنيا لا يعرف أنّ أبا شحادة زوج جارتنا أمّ الخير يتعمّد أن يتظاهر بالعنّة، ويقصد أن يهجر زوجته جنسيّاً كي يقهرها ويعذبها وفق ما تزعم؟ ومن منّا لم تخبره أمّ الخير أنّها مهوى قلوب الرّجال، ومحطّ شهوة

الشّباب والغلمان؟ ولكنّها تتعفّف، وتحتسب أمر جوعها الجنسيّ عند الله؛ لأنّها مؤمنة طاهرة شريفة؟

وهي تزعم أنّها لا تكذب أبداً، ومن له أن يشكّك فيما تزعم؟ وهي الغضوب الحقودة؛ ولذلك يمّثل الجميع أنّهم يصدّقون أنّها نقية كقطرة مطر، وأنّها محبوبة الجماهير، وأنّها تجيد لغات كثيرة، وتتقن علوماً لا حصر لها، وتتوافر على ملكات نادرة، ولو أقسمت على الله لأبرّها من صلاحها.

ومن له أن يشكّك في قدرتها على قراءة صمت البشر، وإدراك معاني نظرات عيونهم، وفق ما تزعم؟ لكنّني أستطيع أن أشكّك في ذلك، ولو بشكل سريّ، كما أستطيع أن أنظر في عينيها بملء عيني دون أن أخشى أن تسمع أعماقي التي تتمّنى من قيعانها العميقة أن تخرس للأبد؛ فلا تسمعها تقول كذباً وزوراً وبهتاناً: "إنّني لا أريد سوى رضا الله سبحانه وتعالى والإحسان إلى النّاس وحسن الخاتمة".

روايات موضوعة

روايات موضوعة

"الرّوايات الموضوعة مادّة للكذب الفنيّ والمتعة المجانيّة"

"لا سند ولا متن للرّوايات الموضوعة؛ فجميعها مرفوعة لمولانا الكذب"

(1)

روايتها

روايتها الموضوعة الشّهيرة أنّها أنثى ساحرة، وأنّ زوجها يعشقها حدّ التّتيّم بها، وأنّها أمّ مثاليّة لأولادها الذّكور الثّلاثة، وأنّها معطاءة لكلّ من تعرف ولو كان عابر سبيل أو سرير في حياتها، وأنّها مخلصة لزوجها في غيابه الذي يكاد يغطّي زمن زواجهما كاملاً خلا أشهر قليلة، وتروي روايات منحولة كثيرة عن فضلها على إخوتها، ومحبّتها لوالديها، وتعلّق جاراتها بها، وحسن امتثال أبنائها لتربيتها.

وخير وضعيّة لها تتّخذها عندما تروي رواياتها الموضوعة، عندها تنفخ أوداجها، وتأخذ شهيقاً عميقاً، فيمتلئ صدرها بالهواء دافعاً ثدييها المرتجّين مثل قربتي ماء من جلد ماعز قديم، فيبدو ثدياها أكثر تغوّلاً أكثر فأكثر، ويكادان يدانيان ذقنها، أو يرتطمان بشفتها السّفلى التي تنبرم خارج فمها متلألئة بلميّع شفايف من النّوع الفاخر، فتبدو هيئتها مثل من تدلّي ثدييها أملاً في الحصول على قبلة حارّة عميقة من شفتين حارّتين.

وفي هذه الحالة تتجلّى في نقل رواياتها التي تصمّم على أن تختمها بخاتمة واحدة مهما اختلف الاستهلال أو العرض، وهي أنّها حمّالة عبء

الأهل، وأنّها مقصد الأهل والأقارب، وأنّها ابنة الأصول التي تصون العشير، وتخدم أهله مهما قست الحياة عليهم، ويطيب لها أن تذكّر صديقاتها المذهولات برواياتها وبثدييها الضّخمين دون توقّف أنّ أغنية (بنت الأصول) تجسّد مكارم أخلاقها.

(٢)

روايته

روايته الموضوعة الشّهيرة أنّه ذكر مثير على الرّغم من أنّ طوله لا يزيد عن متر ونصف، وعندما يقبل مع زوجته التي هي بطوله تماماً يبدوان مثل قزمين صغيرين قادمين من حكايات الأقزام والأميرة النّائمة.

هو يجيد الزّعم أنّه معبود النّساء، وأنّه يخلص لزوجته على الرّغم من أنّه يغيب عنها طوال أيّام العام مطوّفاً في بلاد الدّنيا ليجني لها المال الذي تحبّ أن تدّخره في البنك باسمها بحجّة أنّها تريد تأمين مستقبل الأسرة، وتخفي عن الجميع ما تملك من قصص مخزية عن خياناته لها، وعن غرامه المرضي بتذوّق النّساء المثيرات اللّواتي لا يملكن أثداء بحجم الجرار الفخاريّة الكبيرة.

لكنّه يتفاخر أمام النّاس بأنّها تحترم أسرته، وتخدمهم، وتقوم بواجباتهم مكمولة غير منقوصة، ويكاد يقسم أنّها ما عرفت رجلاً غيره في حياتها منذ عرفته، ويتجاهل أولئك الأثرياء النّفطيين الذين تتكدّس ذاكرة هاتفها النّقال بأسمائهم، وتزعم أنّهم زبائنها في العمل، ويتواطأ معها طوعاً على هذا الزّعم كي لا يشعر أنّ قامته قصيرة إلى حدّ لا يتجاوز الشّبر.

(٣)

رواية أمّه

الرّواية الموضوعة الشّهيرة لأمّه أنّ كنّتها تحترمها، وأنّ ابنها صاحب مروءة فضفاضة وشرف دونه إراقة الدّماء، وأنّها مكان ترحيب دائم في بيت ابنها وزوجته وأبنائهما الثّلاثة، ولكنّها تفضّل أن تعيش وحدها هنا في فنلندا حيث البرد والغرباء والوحدة، وذلك كي تعيش حياة مختلفة في شيخوختها بعيداً عن ذكريات عاصمة الجمال والسّحر العربيّ والحضارة حيث وُلدت، وعاشت، وشاخت قبل أن تأتي إلى هنا بقرار من ابنها الوحيد، فيرميها في غرفة باردة تحت الأرض في فنلندا بعد أن صمّمت زوجته الأصيلة بنت الأصول – كما تسمّي نفسها- على أن يخرج أمّه العجوز المعدمة من بيتهما ذي الطّبقات الثّلاث؛ لأنّها تكره النّساء العواجيز، وتفضّل أن يكون بيتها مكاناً لراحتها، واستقبال صديقاتها التي تعاملهنّ معاملة قطط الشّوارع؛ إذ تربت عليهنّ متى شاءت، وتدفع بهنّ إلى الشّارع متى ملّت منهنّ، أو زارها عشيقها سرّاً في أثناء سفر زوجها.

(٤)

رواية ابنها البكر

الرّواية الموضوعة الشّهيرة لابنها البكر أنّه يريد زوجة صورة طبق الأصل عن أمّه دون إيّ إضافات أو تحسينات أو زيادات، وأنّه يعشق أنوثة أمّه وطريقتها في الطّهو والتّفكير، لكنّه منذ سافر إلى تلك الدّولة البلقانيّة ليدرس في إحدى جامعاته، وهو يحرص على أن يتذوّق أيّ امرأة أيّاً كانت بشرط أن لا تشبه أمّه، وأن لا يكون لها ثديان كالقربة كما هما ثدّيا أمّه،

فلطالما عجب كيف تزوّجها أبوه، وهي في قسمها العلويّ من جسدها تشبه حوتاً يكاد يلفظ ما ابتلعه، في حين هي في قسمها السّفلي من جسدها أشبه ما تكون بماعز شاميّ غزيرة الشّعر.

(٥)

رواية ابنها الأوسط

الرّواية الموضوعة الشّهيرة لابنها الأوسط أنّ أمّه مثال الشّرف والعفاف، إنّما ينقصها فقط أن تتحجّب لتكون قديسة أو ناسكة متعبّدة، ولذلك انبرى يقنعها بأن تلبس الحجاب حتى يستر عريها الفاضح، فيسكت سخرية أصدقائه من لباسها المبتذل، وما استطاع أن يقنعها بذلك إلاّ عندما هاجمتها الشّيخوخة ابتداء من تثنّي جلد رقبتها بتقبّض كدر السّمرة.

ولكنّه منذ انضمّ إلى تلك الجماعات الدّينيّة المتشدّدة يفكّر دون انقطاع في أن يفخّخ سيّارة والدته، فينثر لحمها في الهواء انتقاماً لأبيه من خياناتها الموصولة له، وتطهيراً لنفسه من عار بنوته لأمّ مثلها.

(٦)

رواية ابنها الأصغر

الرّواية الموضوعة الشّهيرة لابنها الأصغر أنّه يريد أن يسير على هدي أخويه في سيرتهما الحياتيّة والأكاديميّة، وأن يعيش مثلهما في الغرب ليدرس، ويعمل، ويعاين حياة التّحضّر، دون أن يتخلّى عن تعاليم دينه وقيم مجتمعه وتربية والديه لثلاثتهم.

ويصبّر نفسه بصعوبة حتى ينتهي من مرحلة الثّانويّة العامة، ليلحق بأخويه، ويعبّ ممّا يعبّان منه من المتع التي يحدّثانه عنها لا سيما النّساء السّهلات المنال اللّواتي يسرن في الشّوارع دون ارتداء ملابس داخليّة.

(٧)

رواية الأقارب

الرّواية الموضوعة الشّهيرة للأقارب أنّهم يفخرون بالأسرة المثاليّة التي تتكوّن من تلك الزّوجة المثاليّة التي تجيد التّشدّق بنجاحاتها في حياتها الأسريّة، ومن ذلك الزّوج المحبّ المخلص الذي يضع صورة زوجته على واجهة جهاز اتّصاله النّقّال في حين يخفي صور عشيقاته في ملف الكترونيّ سريّ يفتح ببصمة إبهامه، ومن الأبناء الثّلاثة المثاليين المتفوّقين في دراستهم، والبارّين بوالديهم، والمحافظين على عفّتهم وشرفهم ومبادئهم مهما كانت المغريات التي تعصف بشبابهم العاتي.

(٨)

رواية الجارات

الرّواية الموضوعة الشّهيرة للجارات أنّهنّ يحببن مجالسة جارتهم الزّوجة المخلصة ذات الثّديين القربتين، ولكنّهنّ لا يجدن الوقت الكافي لذلك؛ لأنّهن مشغولات بإبعادها عن أزواجهنّ الذين يشتطّ لعاب أحدهم عندما يرى جارته المخلصة الفيلسوفة تتمايل مرقّصة ثدييها وردفيها بتتالٍ منظّم خبير.

(٩)

رواية الرّاوي

الرّواية الموضوعة الشّهيرة للرّاوي أنّه يروي على ذمّة من روى، وأنّه بريء من الطّعن أو القذف أو الرّذيلة أو التّحامل على أيّ أحد كان.

(١٠)

رواية المروي لهم

الرّواية الموضوعة الشّهيرة للمروي لهم أنّهم يكرهون الرّوايات القادحة بالأعراض والذّمم والأفعال، وأنّهم يتركون العباد لربّهم.

(١١)

رواية الرّواية

الرّواية الموضوعة الشّهيرة للرّواية أنّها بريئة من كلّ ما يُروى، ويُقال، وأنّها تريد أن تنام دون وجع ضمير أو تكسير عظام.

كلّ تمام

كلّه تمام

"عليكم جميعاً أن تقرّوا أعيناً؛ فكلّه تمام"

"مصدر مسؤول صرّح أنّ كلّه تمام"

هو صحفيّ كلّه تمام كما ينعته زملاؤه في العمل سخرية منه، واحتقاراً لولعه المجنون بالتّدليس والتّزوير والملق، ولكنّه لا يبالي بنعوتهم وأفكارهم وآرائهم به وبكتاباته وبتغطيته الصّحفيّة وبأخلاقه القزمة؛ طالما أنّه قد استطاع أن يصل إلى السّادة والمتنفّذين، وأن يكون في صدارة الإعلام المأجور الرّخيص الذي يدرّ المال عليه كما يشتهي، ويحلم، وهو المتواضع المواهب، الضّيق الأفق، القاعد في مروءته وأخلاقه وصدقه ونبله.

لكنّه الأسعد في حياته التي اتّخذ لها منهجاً يمكن تلخيصه في جملة كلّه تمام، وهذا المنهج ينتصر للتّهليل والتّطبيل والتّصفيق للصوص والظّالمين والسّارقين والفاسدين بقدر ما يرشقون وجهه الصّفيق بالمال والعطايا التي لا يمانع من أن يلتقطها من عند أحذيتهم ما دامت سوف تؤول إلى جيبه البئر الأسطوريّ التي تبتلع كلّ ما يدخل فيها، دون أن يسمح بأن يُتشل منها قرش واحد.

اختطّ منهج كلّه تمام في خضرة طفولته، وثم نمّاه في صباه وشبابه حتى أصبح شعاره المقدّس، ودينه وملّته؛ ففي طفولته عرف النّفاق، واستخدمه جيداً في البيت، وآتى أُكله موفوراً طيباً شهيّاً.

والداه أوّل من تعامل معهما بهذا المنهج الحصيف؛ فتعلّم أن ينافق أمّه في كلّ ما تسأل، فكان ابنها المدلّل الذي يمطرها بالكلام الجميل المنمّق المعسول المنافق؛ فهي وفق نفاقه أجمل امرأة، وأعظم زوجة، وأفضل مربيّة،

وسيّدة النّساء، وجوهرة الأسرة، وأيقونة الأقارب، وجامعة المناقب جميعها، وهي منزّهة عن أيّ منقصة أو خطيئة أو عيب؛ ولذلك استحقّ منها شتّى أنواع التّدليل والاختصاص بالمال والهدايا والطّيبات والإعفاء من أعباء المساعدة في الأسرة.

وفيما بعد استخدم منهج كلّه تمام مع أبيه وأخوته ومعلميه وأقاربه وزملائه، حتى ما ترك بشراً إلاّ ونافقه، حتى أنّه كان يهوى نفاق الأموات والشّخصيّات الخياليّة، فيلصق بهم كلّ فضل لم يكن لهم.

لقد طبّق الآفاق بشهرته بالنّفاق، ولكنّه ما بالى بذلك؛ ما دامت تجارته رائجة مقبولة، مهما آذى ذلك من بشر، وخدع من آخرين، وحرم مستحقّين من حقوقهم، وضلّل الحقيقة، ونصر الزّور.

وفي نهاية الأمر أصبح مدرسة قائمة بحدّ ذاتها في النّفاق الذي أجمله في عبارة كلّه تمام، وهذا المنهج جعله يقفز قفزة مستحيلة من صبيّ خدمات في مقصف الصحّيفة الأولى في الدّولة إلى رئيس تحريرها في مدّة زمنيّة قياسيّة، لكنّها مدّة زمنيّة ملعونة مزحومة بمقالات وأخبار كاذبة يختمها جميعاً بعبارته اللّغز كلّه تمام، حتى خُصّص له عامود يوميّ في الصّحيفة الوطنيّة التي يرأس تحريرها تحت هذا الاسم الثّابت، وقد جعله حكراً على مناقشة ودراسات وتعقيبات على أمور عامّة تشغل الرّأي العام، وكم دلّس في هذا العامود! وجافى الحقيقة، وحصد الفوائد الجمّة مقابل ذلك من الأسياد الذين يصفهم بعبارة أهل فوق، في حين جنى احتقاراً شعبيّاً يكفي لأن يقتل جاموساً برّيّاً بطاقة نظرات الاشمئزاز والاحتقار الموّجه إليه، إلاّ أنّه لم يعدم وجود الكثير من المعجبين به، والمقلّدين له، والسّائرين في دربه السّهل الصّعب في آن.

وكم أغرق في الضّحك حدّ الوقوع على قفاه، وهو يروي لمريديه وطلبته فنون نفاقه، وأطرف قصص ملقه التي يصنعها ليصوغ أكاذيب تكفي لطمس الحقائق، وتنتصر للكذب والخديعة والسّراب؛ فهو لا يزال يروي بافتخار قصّته مع النّاس الفقراء الذين يعيشون في المقابر لضيق ذات أيديهم، وضيق ذات قلوب البشر الذين لم يرحموا فقرهم وعوزهم، عندها قام بتغطية إعلاميّة كبيرة عن الأمر تحت عاموده اليوميّ كلّه تمام، وعدّ الوضع اعتياديّاً، وفكرة رائدة من أجل حلّ مشكلة أزمة السّكن، وتجاوز معاناة أولئك المنكودين الأحياء الذين يشاركون الأموات مقابرهم عندما ضاقت عليهم قلوب البشر.

وعندما كتب عن قضية الرّواتب الضّئيلة للمنتسبين إلى الجيش ورجال الأمن والدّفاع المدنيّ دعاهم إلى قبول فقرهم وعوزهم والتّضحيّة بأيّ رفاهيّة إنسانيّة قد يحصلون عليها مقابل أن يخدموا الوطن الذي كلّ شيء فيه تمام، والمغرضون هم من يحاولون أن يشوّهوا أمنّه عبر زعمهم أنّ هناك مشكلة ما.

أمّا عندما كتب عن ظاهرة أطفال الشّوارع واللّقطاء فقد ناشد المجتمع بإطلاق الرّصاص عليهم بوصفهم كلاب ضالّة تزحم شوارع العاصمة، وتهدّد أمن الدّولة وحركة السّياحة، ويجب التّخلّص منهم سريعاً وبأرخص الأثمان؛ ليعيش الأقوياء والنّخب في المجتمع براحة، في حين لا مكان فيه للضّعفاء والعاجزين. وهذا الرّأي البشع أضحكه بقدر ما أبكى غيره من الأطفال المعدمين المنبوذين.

وعندما ملأت القمامة الشّوارع لم يهاجم –وفق المتوقع– المسؤولين عن ذلك في دوائر خدمة البلديات والعاصمة والأقاليم، بل نادى بأن يقوم

المواطنون بعملية التّنظيف، ونقل قمامتهم إلى مدافنها في الصّحراء، ليتفرّغ السّاسة لحياتهم المرفّهة دون أحقاد الفقراء عليهم، أو اعتراضهم على ملذاتهم المنهوبة من أقواتهم وأعمارهم ومستقبلهم ومستقبل أبنائهم، وشدّد على المطالبة بذلك لا سيما عندما أهداه كبير خدّام دائرة المدينة سيارة فارهة لم يحصّل أيّ منافق في البلد على واحدة مثلها؛ فلا أحد يملك قدرته على الكذب والرّياء والافتراء وتزوير الحقائق.

لقد ارتقى فيما بعد أرفع المناصب الإعلاميّة والتّمثيليّة الرّسميّة عن الجهات المسؤولة عن صنع القرار بفضل منهجه العتيد في النّفاق الذي بروَزه بمقالة خاصّة عن مثاليّة الحياة في عاصمة الوطن؛ وانطباق أحوالها جميعاً على فرضيّة كلّه تمام التي صنعها من الوهم والافتراء ومدامع المحرومين؛ إذ رأى أنّ تهاوي البنيّة التّحتيّة في المدينة منهج لتكريس فكرة حفاظها على شكلها الموروث لأجل دعم السّياحة، فيما رأى أنّ سقوط المباني لمخالفتها شروط البناء، هو نوع من المفاجآت غير السّارة التي لا يجوز ملاحقة من قام بها من بنّائين ومقاولين ومهندسين ومالكين ومرخّصين ومتستّرين على التّجاوزات في البناء خوفاً من أن تُهجر البلد من قِبل المواطنين المستثمرين وأصحاب رؤوس المال من المستثمرين إنّ تمّ التّضييق عليهم ومحاسبتهم على الأخطاء الصّغيرة، مثل سقوط المباني على ساكنيها من البشر.

أمّا الجوع والفقر والبطالة والدّعارة المستشرية في الوطن، فهي – وفق رأيه- نوع من أنواع مواكبة الموضة العالميّة، والسيّر ضمن موجات القلق الكونيّة، وتنشيط لحركة السّياحة، في حين أنّ مطاردة العلماء والأشراف والمطالبين بالحرّيات هو تمثيل لإرادة الله في قتل كلّ من يخرج على أمر السّلطان.

لقد أصبح صوتاً للقتل والتّعذيب والتّنكيل بالأحرار، كما غدا عاموده الصّحفيّ اليوميّ كلّه تمام مثالاً للتّهريج والتّنكيل بالوطن والمواطن، ومؤشراً صادقاً إلى احتراف قلب الحقائق؛ ولذلك ظلّ يكتبه لسنين طويلة ما دام يحظى برضا أسياده الذين عدّوه صوتهم المدوّي المخرس لكلّ غضب شعبيّ، أو سخط وطنيّ، أو اعتراض نبيل من المصلحين والمربّين وأهل الذّمة والصّلاح.

ظلّ يعتقدُ أنّ كلّ شيء تمام ما دام هو في خير وغناء ونفوذ، حتى عندما فتك مرض التّصلّب اللّويحي المتعدّد بجسده، وشلّ يديه فضلاً عن شلّ سائر أعضاء جسده، وحرمه من المتعة والشّهرة والتّآمر على الأبرياء والشّرفاء وأصحاب الحقوق، ظلّ يبتسم بذل مبتذل، ويقول بتلعثم واللّعاب يندلق خارجاً من زاويتي فمه: "كلّه تمام".

أكاذيب الوسط

أكاذيب الوسط

"عندما يتّسخ حيز ما يسمونه وسطاً
" المقدّمة والمؤخّرة ليستا أقلّ كذباً من الوسط"

(١)

باب مغلق

لم يستطع الكاتب الموهوب المبتدئ أن يجد له موطئ قدم في الوسط الذي يريد أن ينتمي إليّه على الرّغم من موهبته الفذّة، وغزارة إنتاجه المحبوس قسراً في مخطوطات لم يُقدّر لسطر منها أن يرى النّور في نشر ما، ولكنّه كلّما قصد باباً ثقافيّاً صُكّ في وجهه بمنقصة أنّه لا يملك القدرات المطلوبة للقبول به في ذاك الوسط.

(٢)

تسعة فقط

الوسط يضجّ بجيش من الأعضاء والمنتمين والممثلين والهواة والمحترفين، لكن لا حاجة لهم في ظلّ وجود أصحاب الوجوه التّسعة الذين يملكون كامل المواهب والقدرات والخبرات، ويتواجدون بقدرة خرافيّة في كلّ مكان، حتى أنّ الواحد منهم يستطيع في آن أن يزور مكاناً، ويشرف على آخر، ويزور دولة شقيقة، ويمثّل مؤسّسته في مهرجان ما، ويشارك في افتتاح مؤتمر دوليّ، ويكتب قصيدة، ويلاعب أسداً في قفص، ويشارك في مظاهرة، ويستشهد في حرب في لحظة واحدة، ولا عجب في ذلك؛ف هو وجه من الوجوه التّسعة التي تستطيع أن تقوم بالعجائب.

(٣)

اختلاف أذواق

عندما يقدّم مادّة لنشرها في تلك المجلّة التي ترأس تحريرها تلك الكاتبة العجوز المتصابية ترفض أن تنظر فيها، ويغمزه أحدهم ساخراً: "هي تفضّل النّساء بعد أن شبعت من الرّجال".

وعندما يقدّم مادّة لنشرها في تلك المجلّة التي يرأس تحريرها ذلك الكاتب العجوز المتجعّد يرفض أن يستقبلها منه، وتغمزه سكرتيرته بغنج وتشفٍ به، وهو يجرجر نفسه خارجاً من المكان بانكسار وغيظ: "الرّجال يفضّلونه".

(٤)

أكسجين

بشهادة الجميع هي مبدعة الوسط، يتحدّثون سرّاً عن أفانينها الإبداعيّة السّريّة التي عاينها الكثيرون بطرقهم الخاصّة، وكي يخلدونها يزرعون شجرة لها في حديقة أدباء الوطن؛ ليتنفّس المواطنون من أكسجين إبداعها العكر.

(٥)

داعم المبدعين

يحاول أن يقنع من يقع في دربه من أغرار المبدعين أنّ الحريّة في الفكر لا بدّ أن تمرّ بالجسد، وعندما يعاينون هذا الطّريق بشكل عمليّ يكتشفون أنّه طريق مفتوح من الجهة الأخرى على المستنقع الذي اسمه وسط.

(٦)

رصيف

بعضهم ينعته بالمتّخلّف؛ لأنّه يغضّ الطّرف إن بدا له منكراً أو كُشف أمامه ستر ما، وآخرون يسخرون من التزامه بالصّلاة على وقتها، وكثيرات وصفنه بالعنين؛ لأنّه لا يطأ حراماً، وتلك السّكّيرة وصفته بالإرهابيّ؛ لأنّه يرفض أن يقبّل الزّميلات في الوسط، والجميع أجمعوا على أنّ مكانه على الرّصيف بائعاً للملابس القطنيّة للمارة؛ لأنّ لا مكان في الوسط للمتخلّفين بإرادتهم الشّخصيّة.

(٧)

واقعيّة

ينادي بالانطلاق في الإبداع من التّجربة الشّخصيّة، وتعجّبه نساء الوسط اللّواتي يؤمنّ بمنهجه الحياتيّ العمليّ.

(٨)

إبداع

هو أهمّ روائيّ، هي أهمّ شاعرة، وصديقهما المشترك المخنّث أهم ناقد في الوسط، إنّهم فخر للجميع، ومحور اهتمامهم، إبداعهم في تزايد، والجميع في انتظار مزيدهم المبهر، إلاّ أنّ القلّة يعرفون أنّهم لم يكتبوا بعد كلمة واحدة في السّرد أو الشّعر أو النّقد، لكن عندهم كفاءات أخرى نافعة لمتع غيرهم.

(٩)

قامات عالية

لا يزال إعلاميّاً مبتدئاً لا يعرف من أعراف العمل الإعلاميّ سوى تلك الدّروس الأكاديميّة البحتة التي تلقّاها في الجامعة، لكن رئيسه الإعلاميّ الشّهير وضّح له أنّ قامات سامقة تعني رجال يلبسون بذلات فاخرة بياقات مرتفعة، ونساء تنتعل أحذية بكعوب أنثويّة مرتفعة.

(١٠)

جلد

قبّلت حبيبها ألف مرّة في الرّواية التي كتبتها، وأنجبت من غير زوجها في الفصل الأخير منها، وبذلك قرّر المجتمع أن يرجمها حتى الموت بتهمة زنا المحصنة.

(١١)

عشق

كتب ألف قصّة عشق في حياته، لكن لا قارئ واحد عشق أيّ قصّة من قصصه الألف.

(١٢)

جدّة

إنّها تكتب طلاسم نثريّة عن عجائب جسدها، وسحر شبابها الزّائل منذ دهر، وتدعو علانيّة إلى أن يذوقها كلّ من يشتهيها، ولكن عندما يبصرها المدعون إليها يتذكّرون جدّاتهم المتوفّيات ووجوب تأدية صلاة العشاء في وقتها، والتّرحّم الطّويل على أرواح أمواتهم.

(١٣)

مثقّف كبير

هو عاطل عن العمل منذ مدّة طويلة، وأخيراً أشفق عليه عمّه اللّئيم صاحب العلاقات الواسعة، وقرّر أن يعينّه مثقّفاً كبيراً في وسط ما مع مياومات كاملة في سفره خارج الوطن وحوافز صعوبة مهنة.

(١٤)

خبير متابع بشدّة

هو متابع لكلّ جديد يُنتج في الوسط، وغدا خبيراً معتمداً ومتمرّساً في هذا الشّأن، حتى أنّه بات يكتب تقاريره ومقالته عن الجديد الصّادر دون حتى أن يراه، أو أن يطّلع عليه.

(١٥)

ناقد

لم ينجح في أن يكتب قصيدة، أو أن ينسج قصّة، أو أن يكتب عالماً في رواية، ولذلك قرّر أن يصبح ناقداً ينتقم ممّن استطاعوا ذلك ببراعة واقتدار.

(١٦)

عمل خارق

العمل الإبداعيّ التّافه هو عمل لا يعرف صاحبه، والعمل الجيّد هو عمل إبداعيّ دعاه كاتبه إلى غداء أو عشاء، أمّا العمل الخارق، فهو عمل دسّ صاحبه في جيبه ورقة نقديّة من أكبر فئة؛ ليكتب نقداً عنه.

(١٧)

ناشط في الوسط

يفضّل أن يتمدّد أمام التّلفاز، أو أن يلاعب حفدته، ولكنّ زوجة ابنه القاسية تضجر من وجوده في البيت، ولذلك قرّر أن يصبح ناشطاً في الوسط؛ ليجد مكاناً يستقبله في كلّ يوم دون انزعاج من وجوده.

(١٨)

متعدّد المواهب

يفرض نفسه بمنطق التّسوّل على كلّ مكان في الوسط، ويجني عشرات الرّواتب من عشرات الوظائف المختلفة فيه، حتى أنّه يكتب عاموداً ثابتاً في مجلة نسائيّة بعنوان (الولادة السّهلة للنّساء)، وهو النّاطق الرّسميّ باسم منظّمة السّناجب السّعيدة، ويكتب خطابات النّساء البرجوازيات المسنّات المحتجّات لدى المنظّمات العالميّة ضدّ قتل الحيوانات لأجل فرائها.

(١٩)

نقابيّ عتيد

لا أمل له بأن يحظى بأيّ مقعد في انتخابات الوسط؛ فهو في منزلة كلب أجرب عند الجميع لسوء أخلاقه، ولذلك قرّر أن ينتزع المقعد بالتّسوّل

الحرّ؛ إذ أقنع الجميع بأنّه يعيش الفصل الأخير والصّغير من حياته بسبب مرض عضال ألمّ بقلبه الضّعيف.

فانتخبه الجميع في الوسط تحقيقاً لأمنيته بأن يكون نقابيّاً إداريّاً ولو لمرة واحدة قبل أن يموت، ويرتاحوا من جربه الملازم له.

(٢٠)

معجب كبير

حدّثها طويلاً عن إعجابه بأدبها وجمالها وثقافتها وسحرها وحضورها وآلاف الأشياء المفترضة فيها، ولم تستطع أن تتخلّص منه إلاّ عندما داينته خمسة دنانير كي يأخذ سيارة أجرة، ويعود بها إلى بيته.

(٢١)

إسهال إبداعيّ

تشافى من عدّة أمراض منذ أن حصل على تأمين صحيّ مجانيّ في الرّابطة الثّقافيّة التي انتمى إليها منذ سنوات، لكن هذا التّأمين الصّحيّ الشّامل لم يستطع أن يشفيه من مرض الإسهال الإبداعيّ الذي يعاني منه، ويجعل الجميع يعانون ممّا ينتجه لهم.

(٢٢)

رواية الصّمت

أصدر رواية كاملة فارغة الصّفحات، وأسماها رواية الصّمت حيث لا كلمة واحدة مكتوبة فيها، وصديقة النّاقد المأفون المنافق كتب دراسة نقديّة عملاقة عن جرس الكلمات في هذه الرّواية.

(٢٣)

أشجار منتصبة

هو عظيم الثّورة والتّمرّد فيما يكتبه قلمه، ويزعم أنّه يؤمن بأنّ الأشجار الأصيلة تموت منتصبة، لكنّه بعيداً عن الجعير في أدبه، فهو يهوى الانبطاح المريح والآمن في الحياة؛ ولذلك يكثر من شراء الأرائك والأسرّة والسّجاد.

(٢٤)

أبو لسان

لا يجيد اللّفظ، ويبصق رشّاشاً من اللّعاب في وجه من يكلّمه، فيهرب الجميع من الحديث معه كي لا يبلّلهم ببصاقه وهرائه، وكي يبعدوه أكثر ما يمكن عيّنوه متحدّثاً دوليّاً باسم الوسط كي يبلّل الوسط الدّوليّ كلّه ببصاقه.

(٢٥)

ديك المزبلة

كذبته المكرورة هي أن يخبر المرأة التي تنتمي حديثاً للوسط أنّها طفلة كبيرة، تلاعب الموجات، وتجمع الأصداف، وأنّه يشتهي أن يشرب النّبيذ بفردة حذائها الأنيق.

وعندما تضحّك المرأة التي يقذف عليها كذباته المعتادة، يخبرها أنّه حسّاس، وأنّه يشعر بها كما لو كان عصفوراً يطير من صدرها، ويدعو في سرّه أنّها لم تسمع -بعد- أحداً من الوسط يناديه بلقبه الشّهير: ديك المزبلة.

(٢٦)

القفل المشلوع

حياته سلسلة من الوضاعة والفشل والإخفاقات والعيش على الهامش، لم يملك منها سوى بعض الشّعر الذي ورثه عن أمّه التي كانت تعمل لطّامة، وجدّته لأمّه التي كانت تعمل ردّاحة مأجورة، وكي يقنع البشر أجمعين بأنّه سليل الدّم الأزرق؛ فقد كتب عن نفسه سيرة فروسيّة، واسمها القفل المشلوع.

(٢٧)

قلم كلب

يملك قلماً سيفاً يقطع باتراً إن هاجم به، ولكنّه قلم كلب لا يتبع إلاّ من يقدّم له عظمة، أو يلوّح له بقطعة لحم.

(٢٨)

غربة

يعيش غربة دائمة في بيته وأهله ووطنه، فقط عندما يكتب الشّعر يعيش الوطن فيه.

(٢٩)

هدية

هو يكتب لها أشعاره العاشقة بماء روحه، وهي تعيد كتابتها على ورقة بقلم حبرها الأزرق الجافّ، وتثبتها في طاقة الزّهور التي تهديه بشكل يوميّ لجارها الذي تعشقه منذ سنوات.

(٣٠)

بلاد

يصرّ على أن يستخدم في أمسياته الأدبيّة عبارة أنّ قلبه بلاد لم يعش فيها، وينسى أنّه لم يعش فيها؛ لأنّه كان يعجّ بالنّساء اللّواتي فتح قلبه فندقاً رخيصاً لهنّ.

(٣١)

تأبين

إنّها المرّة الوحيدة التي أحبّوه فيها بصدق؛ لأنّه مات، ورحل عن العالم مجبراً، وترك الدّنيا لهم؛ فموته جعلهم يسامحونه على تميّزه، وتقدّمه عليهم.

الآن فقط لم يعد مزعجاً لهم، ولهم أن يمثّلوا جميعاً أنّهم كانوا أصدقاءه، والأحبّ إلى قلبه المكلوم بكيدهم، وحقدهم عليه، وحسدهم له.

(٣٢)

الجسد

إنّه أهمّ متخصّص في القضايا التّاريخيّة في الوسط، ولكن عندما تقع عينيه على الجميلات من الحاضرات يغدو -على حين غرّة- معنيّاً بالجغرافيا.

(٣٣)

كذّاب

إنّه كذّاب بامتياز، ولا يستطيع أن ينطق بجملة دون كذب وتلفيق وتزوير، وعندما يواجهه الآخرون بكذبه، يهزّ منكبيه دون مبالاة، ويزمّ شفتيه الزّرقاوين، ويقول بثقة: "**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ،أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ،وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**"

(٣٤)

رسائل

لقد كانت تكتب الرّسائل له دون توقّف، ولكنّها كانت أجبن من أن ترسلها إليه.

عندما تزوج من امرأة أخرى تملك الجرأة لترسل إليه الرّسائل التي كتبتها له، قامت بجمع ما كتبته له في الزّمن المنصرم المؤلم، ونشرته في كتاب ذي غلاف جريء، وكتبت في صفحته الأولى "قصص من وحي الخيال، لا صلة لها بالواقع".

(٣٥)

قُبح

عنده منهج ثابت في الإبداع؛ إن نجح عمله الإبداعيّ، فهو يتفاخر بأنّه من بنات أفكاره وأحاسيسه وتمرّسه الابتكاريّ، وإن أخفق، وُعدّ عملهّ

سقطة له، تبرّأ منه، وقال إنّ هذا العمل ليس أكثر من مماثلة جريئة لقبح المجتمع.

(٣٦)

مجاملات سيدي

كانت أموره تسير جيّداً في الوسط، وكان محبّباً إلى الذين يديرون الأمور فيه، ويوزّعون مكاسبه بمنطق المحاصصة، إلى أن فقد في حادث مشؤوم موهبته الأصيلة في القدرة الكبيرة على المجاملات، ومنذ ذلك الوقت سار وضعه في الوسط إلى الانكماش والانحسار حتى طُرد من الوسط كلّه؛ لأنّه خسر قدرته العملاقة على المجاملات يا سيدي.

(٣٧)

ناشطة إلكترونيّة

هي تحتّل رتبة وسطى ما بين الحقيقة والوجود الافتراضيّ في العالم الالكترونيّ، وتصمّم على أن تسمّي نفسها ناشطة الكترونيّة، ولا أحد يستطيع أن يحدّد بالضّبط ما قصدها بمصطلح ناشطة الكترونيّة، لكنّها تغرق صفحته البائسة في (الفيس بوك) بعدد مهول من الهمز واللّمز والإعجابات الالكترونيّة ذات الإبهام المصفرّ المشرع على أيّ تعليق يكتبه ذلك الأديب المخضرم قليل الودّ والخبرة مع العالم الافتراضيّ.

وتلك النّاشطة الالكترونيّة اللاصقة في صفحته لا يمضي يوم إلاّ وتكتب عن مدى افتتانها الكبير بشعره الجميل الذي تزعم أنّها قرأته كلّه بيتاً بيتاً، وشطراً شطراً، وتتوّجه مرّة تلو الأخرى بلقب ملك الشّعراء، وهو يصمت على مضض إكراماً لإعجابها الالكترونيّ الملحاح، ويخجل من أن يخبرها بأنّه روائيّ، ولم يكتب الشّعر في حياته.

(٣٨)

نسخة على سبيل الإهداء

يضطر إلى أن يدّخر المال من راتبه التّقاعديّ الهزيل كي يشتري نسخاً ورقيّة من ديوانه الشّعريّ الأخير كي يذبّ بها العرق المتصّبب من جبينه خجلاً وانزعاجاً كلّما صمّم قريب أو نسيب أو صديق أو زائر لبيته على أن يستهديه نسخاً من ديوانه الجديد، فيوقعّه له بمداد قهره وغيظه، ويتمنّى له قراءة سعيدة له، وهو من يعرف أنّ ديوانه سيحظى برقدة طويلة على رفّ ما في خزانة مهجورة دون أن يُقرأ، أو يُمسّ، أو يحرّك من مكانه الخالد فيه.

(٣٩)

جيش

يستعرض المرشّح الجديد لمنصب رئيس الوسط قائمة طويلة تضمّ أسماء جيش عملاق من أعضاء الوسط، يشطب بقلمه الحبر أسماء الذين لم

يسدّدوا اشتراكهم السّنويّ، ويسبّهم بأقذع السّباب؛ لأنّهم خذلوه بعدم تسديد اشتراكاتهم، فأصبح من المستحيل أن يشاركوا في انتخابات الوسط، في حين بدأ يحصي المسدّدين عدداً؛ ليستعين بهم في الحرب الوحيدة التي يشاركون فيها، وهي حرب الانتخابات السّنويّة في الوسط .

(٤٠)

رحلة ثقافيّة

جهة رسميّة مسؤولة تبنّت إقامة رحلة ثقافيّة موسميّة لأجل احتضان المبدعين في ربوع الوطن لعلّ احتكاكهم المباشر مع سحر طبيعة المكان يفجّر فيهم كثيراً من الإبداع، وبعضاً من الحفنات من الوطنيّة.

الكثيرون من أعضاء الوسط شاركوا في هذه الرّحلة الثّقافيّة التي تبادلوا فيها خبراتهم بشكل عمليّ وعلنيّ عن كيفيّة العراك والتّشاحن والتّخاصم في أحضان الطّبيعة الخلاّبة للوطن.

(٤١)

نزاهة

الجائزة التي نظّمها الوسط مراهن على نزاهتها وحياديتها، وإمعاناً في الحفاظ على نزاهتها وعدم تدخّل أيّ طرف في عمليّة التّحكيم فيها؛ فقد حدّد المنّظمون للجائزة أسماء الفائزين بها حتى قبل الإعلان بشكل رسميّ عن ولادتها وشروط الاشتراك فيها.

(٤٢)

تحاميل إبداعيّة

لطالما سمعت أنّ الإبداع في الوسط مصاب بصداع دائم، ولذلك قرّرتْ أن تبتعد عن الرأس المصدوع، وأن تكتب تحاميل إبداعيّة سهلة الاستعمال تتكوّن من بضع كلمات في كلّ صفحة، وأسمتها: "دُق بلحي".

(٤٣)

أوراق ميّت

لطالما رأى ذلك العنوان على المخطوطة التي في يدي ذلك الأديب العجوز المدفوع عن أبواب الوسط؛ لأنّ لا جمل أو ناقة عنده تُرتجى عند متنفّع ما، لقد غاب العنوان عنه منذ زمن، ولكنّه يراه من جديد في طبعة قشيبة بدعم من جهات رسميّة كثيرة تكفّلت بنفقات نشره، ومطرّز عليه اسم شخص آخر من الوسط غير اسم ذلك العجوز المبدع الذي طالما حمل هذا العنوان دون أن يُقبل ناشر بنشره له باسمه.

(٤٤)

صالون أدبيّ

كانت صاحبة الصّالون الأدبيّ الشّهير في الوسط بين خيارين لا ثالث لهما؛ إمّا أن تعلن عن حاجتها إلى راع للصّالون يمدّه بالماء والشّراب

والحلويّات والفواكه كي لا يفارقه الرّواد الذين يقصدونه طلباً للظّلّ والماء والطّعام، أو أن تحوّله إلى صالون حلاقة مختلط.

وبعد دراسة جدوى للحالة أعلنت عن تخفيضات مغرية على أسعار الخدمات في صالون الحلاقة المختلطة الذي ستديره بخبراتها الثّقافيّة.

(٤٥)

سفر

إسهاماته الجليلة في الوسط تنحصر في أخذ مياومات سفر كاملة عن كلّ مؤتمر يحضره خارج البلاد باسم الوطن، ويحطّم فيه الأرقام القياسيّة في الأكل والشّرب والنّوم لأجل رفع اسم الوطن عالياً في المحافل العالميّة.

(٤٦)

مفكّر كبير

لقد استهلك المناصب الرّفيعة جميعها الموجود في الوسط، وعندما دخل مرحلة الخرف بسبب تقدّم سنّه، وطول مجاورته للسّخافة والسّخفاء، أنعم الوسط عليه بأرفع لقب يملكه، وهو لقب مفكّر كبير.

(٤٧)

أكاديميّ متخصّص

يصمّم على أنّه قد حصّل شهاداته العليا الأخيرة بنزاهة وشرف خالص، حتى وإن لم يكن هناك وجود على خارطة الجغرافية لجامعته التي تخرج فيها، وينزل علمه الرّفيع الذي حصّله في تلك الجامعيّة الوهميّة على نظرياته المتخصّصة والشّهيرة في الوسط، وهي نظريات تبدأ من دراسة سيمياء أحذية المسؤولين، انتهاء بالوصول المرجو إلى دراسة تفكيكيّة وتكسيريّة لرؤوس المبدعين الحقيقيين.

(٤٨)

ملتقى إبداعيّ دوليّ

لا يمكن أن يفوته حضور فعاليات أيّ ملتقى إبداعيّ دوليّ؛ لأنّه يتضمّن وليمة غداء أو عشاء مفتوحة، أمّا الملتقيات الإبداعيّة الوطنيّة، فهو لا يحضرها أبداً؛ لأنّها تكتفي بتقدّم ضيافة هزيلة مكوّنة من القهوة والشّاي والنّوع الرّديء من المعجّنات السّاخنة أو حتى الحلويّات الباردة.

(٤٩)

زوّار سمجون جدّاً

لا يمكن وصفه إلاّ بالسّمج الثّقيل الظّل والرّوح؛ فليس فيه خفّة إلاّ في كرامته، ولكنّه في إصداره الأوّل يهدي الوسط مؤلّفاً محيّراً بعنوان (زوّار سمجون جدّاً).

(٥٠)

أبو الوسط

بقرار ذاتيّ عيّن نفسه أباً للوسط؛ فهو الكاتب والنّاقد والموزّع والنّاشر والجمهور والقرّاء في آن، وهو خارق في تعدّد المواهب والملكات؛ فهو كاتب وناقد وممثل ومسرحيّ وإعلاميّ وسياسي ومفكّر ومسجون سياسيّ ومدين للنّاس أجمعين، وهو في الوقت ذاته على أتمّ الاستعداد لتلميع أرضيّة الوسط إن رأى مصلحة له في ذلك.

(٥١)

نظرة الدّيك

المفكّر الشّهير في الوسط يروق له أنّ يفسّر العلاقات الإنسانيّة وفق نظريّة الدّيك التي ابتدعها، وأشاعها في الوسط؛ إذ الذّكور في الدّنيا –وفق نظريته– هم ديكة حمقاء متطلّعة خائنة، لا يروق لها إلاّ أن تنقر دجاجات الجيران.

(٥٢)

سِيَر

هو فخور بكتابه الجديد الذي ضمّنه سيراً وهميّة لأسماء لامعة شهيرة من الوسط، وجلّ فخره متأتٍ من أنّه استطاع في كتابه الجديد (سِيَر الجياد) أن يصوّر الفئران على أنّهم جياد.

(٥٣)

تخصّص عليّ

هو يدين بالكثير من الفضل للوسط الذي جعله يحوّل موهبته في الكذب من هواية ضالّة إلى تخصّص عليّ وموهبة فريدة.

(٥٤)

حورية الكتاب

عنده طريقة واحدة أثيرة في اصطياد النّساء؛ فكلّما راقت له حسناء قاصية عنه، اقترب منها، وقال لها بحركة شكسبيريّة: "ألستِ هاربة من قصيدة من قصائديّ الغزليّة؟"

(٥٥)

مرثيّة

لم يكن في يوم من الأيام سوى شاعر مناسبات من العيار الرّخيص؛ إذ تقتصر أجرته نظير مرثياته على دعوته على عشاء أو غداء لا أكثر.

أمّا هذه المرثيّة، فقد أقسم على أن تكون مجانيّة برّاً بنذره بأن يرثي صديقه الوغد بأسوأ شعر إن هو مات.

(٥٦)

حجّ

كلّما سألته إحدى نساء الوسط المحدثات سنّاً وموهبة ووجوداً في الوسط عن عمره ضحك، وأجابها: "بما يكفي لأن أحجّ".

وعندما تسأله بدلع: "هل حججتَ؟" يقهقه قائلاً: "من أدّى مناسك عينيك سهواً أو عمداً، فقد سقطت عنه فريضة الحجّ، وبذلك تكون فريضة الحجّ قد سقطتْ عنّي لمئات المرّات في حياتي".

(٥٧)

تشجيع

الجائزة مرصودة سنويّاً لتشجيع المواهب الشّابة في الوسط، ولكنّ إدارة الجائزة لهذا العام قد قرّرت سرّاً بأن تشجّع ذاتها، وبذلك أعلنت حجب جائزة التّشجيع، وصرفتها مكافآت بدل صعوبة مهمّة لأعضاء إدارة الجائزة وأعضاء التّحكيم في الجائزة الذين وقعّوا على قرار حجب جائزة التّشجيع.

تضارب أقوال

تضارب أقوال

الورق الرّسميّ لا يعرف إلاّ أكاذيبه المكتوبة

إنّها السّاعة الثّالثة فجراً، وجسده يتفتّت تعباً وإعياء ،ولكنّ عينيه متسمّرتان على المحضر الذي أمامه يقرؤه مرّة تلو الأخرى دون أن يستطيع أن يفهم ما يجري معه في هذه اللّيلة الموصولة بنهار جنونيّ لا يستطيع أن يستوعبه، وكأنّه يوم جحيميّ لا تفسير له، ولا يخضع لأيّ منطق.

الجميع في مناوبة المساء قد ذهبوا إلى النّوم في مهجع مخفر الشّرطة، أمّا هو فلا زال يمسك رأسه بكفيّه، ويلصق عينيه بأوراق المحضر يقلّبها صفحة تلو أخرى، ولا يجد في ذهنه الصّياغة المناسبة ليقفل المحضر بها تحضيراً لتحويله غداً إلى النّيابة العامّة لتنظر في ملابسات الجريمة ،وشهادات الشّهود والتّفاصيل التي جمعها التّحقيق الأوّلي في الأمر.

وما يحيّره بحقّ أنّ يمناه تأبى أن تغلق المحضر قبل أن يكتب شهادته في هذه القضيّة؛ فهو أيضاً شاهد فيها على ما يظّن، ولكنّه لا يستطيع أن يتذكّر أين رأى تلك المرأة التي عاينها اليوم في مشرحة الطّبّ الشّرعيّ مع الشّهود الذين تمّ استدعاؤهم للتّعرّف عليها، والإدلاء بشهاداتهم حول واقعة قتلها بسمّ قاتل نادر النّوع أدّى إلى توقّف قلبها، ومغادرتها للحياة.

كان يمكن أن يعدّ الطّبّ الشّرعيّ موتها حالة انتحار، إلاّ أنّ التّحليلات المخبريّة أثبتت أنّ السّم وصل إلى جسدها عبر دسّه في فطيرة تفاح، ومن يريد الانتحار يتجرّع السّم مباشرة لا يصنع الفطائر منه، كما أنّ

لا أثر لعلبة السّم في بيتها الصّغير المزروع في بستان صغير شرقيّ المدينة على الطّريق الزّراعيّ.

لا يستطيع أن يصف هذا المحضر الذي أمامه إلاّ بأنّه محضر يعجّ بتضارب الأقوال، وتناقض الشّهادات إلى الحدّ الذي أشعره أنّه يحقّق مع مجموعة من المجانين أو المتواطئين على الكذب وتشتيت الوقائع لأجل إخفاء الحقيقة، والأنكى من ذلك كلّه أنّه مشغول بالقضية منذ رأى وجه القتيلة في المشرحة؛ فقد تملّكه –حينئذٍ– حدس مسيطر بأنّه يعرف هذه القتيلة، وانتابه شعور رهيب بأنّه قد شارك في قتلها بشكل ما، وإن كان لا يستطيع أن يتذكّر كيف كان ذلك، وهل عليه أن يوجّه أصابع الاتّهام إلى نفسه في مقتلها لا سيما أنّه قد عجز عن اتّهام أيّ شخص بقتلها على الرّغم من كثرة الوجوه والعابرين في محضر التّحقيق، بعد أن قدّموا شهادات متضاربة حدّ الجنون حول القتيلة، حتى أنّ البعض منهم شهد بأنّها امرأة عجوز، في حين أنّ الآخرين قد شهدوا بأنّها شابّة، وهو يكاد يقسم أنّه لمح القتيلة المسجّاة على بلاطة المشرحة تغمزه على حين غرّة، وتزمّ شفتيها القرمزيتين، وترسل له قبلة صغيرة سريّة تصطدم بنهديها المستنفرين بوضوح من تحت غطاء المشرحة الذي يستر عريها، وهو كان عليه أن يبتلع بصمت ما تراه عيناه كي لا يتهمه الموجودون بالجنون، كما يتهمهم هو بذلك، حتى أنّه يتّهم الطّبيب الشّرعيّ بالجنون؛ لأنّه ذكر في تقريره أنّه عاجزٌ عن تحديد السّن الحقيقيّ لهذه المرأة.

تلك الجارة الأربعينيّة وصفت القتيلة بأنّها عمّة نساء الحارة، وأنّها كانت تعتاش من العمل في القبالة وتوليد النّساء في البيوت مقابل القليل من المال وبعض اللّحم والطّحين والسّكر ودبس التّمر وبضع فلقات الصّابون،

وهي من ولدّت نساء الحارة كلّهن، وعلى يديها دلف أولادهنّ إلى الحياة، ولذلك يلقبونها بلقب بالعمّة الكبيرة.

وتذكر الجارة الأربعينيّة أنّ القتيلة كانت مشهورة في الحي بوضوء الولادة؛ إذ كانت تولّد النّساء بعد أن تتوضّأ بماء الورد؛ لأنّها كانت تعدّ الولادة هي خروج روح طاهرة بريئة من روح أخرى، ولذلك عليها أن تستقبل الرّوح الطّاهرة الوليدة بطهارة، وهي أوّل من تحمّم الوليد بماء الورد، وتكبّر في أذنيه، وتقرأ عليه آيات قرآنيّة حافظة من السّحر والحسد وقسوة القلب.

ولذلك لا تتخيّل الجارة أنّ هناك أحداً في الكون قد يرغب في قتل هذه العجوز الطّيبة المسالمة، إلاّ أنّها تؤكّد أنّها قُتلت على مهل ومراحل مع سبق الإصرار والتّرصد من ابنها الوحيد الذي هجرها منذ زمن، وعاش في بلد آخر، وقطع أخباره عنها، فقتلها حزناً ووحدة ببطء دون رحمة.

ذلك المزارع الذي يسكن البيت الرّيفيّ المجاور لبيت القتيلة أكّد أنّ جارته القتيلة هي شابة دجّالة تزعم أنّها عرّافة ووريثة أباطرة السّحر والعرافة، وأنّها كانت تبتزّ زبائنها بما تعرف عنهم من أسرار، وأنّها كانت تملك إشعاعاً في عينيها يجعل من يراهما يسقط في شَرَك البوح لها حتى بأكثر أسراره خطورة وحرصاً على كتمانها، وهي كانت تستغلّ ذلك في ابتزازها لهم، ولا بدّ أنّ أحداً ممّن ملّ ابتزازها له قد ضاق ذرعاً بها، وقرّر أن يضع حدّاً لحياتها ليتخلّص من أسرها له.

وعندما سأله الضّابط إن كان من زبائنها في يوم من الأيّام، أجاب المزارع الشّاهد بالنّفي. عندها سأله الضّابط من جديد عن مصدر معلوماته

حول عمل القتيلة وسلوكياتها الابتزازيّة، فأجاب المزارع بأنّ فئران الحقل قد أخبرته بذلك؛ فالقتيلة كانت تهوى الفئران، وتملأ بيتها بها، وتسمح لها بأن تعرف أسرارها، وتقاسمها أفكارها، والفئران اللّعينة كانت تشي بها لكلّ من عنده فضول حول تلك المرأة.

في بيت القتيلة وجدوا مئات ظروف الورقيّة مفرغة من رسائلها، وجميعها كانت تحمل عنوان المرسل إليها دون ذكر عنوان المرسل، وجميعها تحمل ختم مكتب بريد البلدة، ولذلك استدعى الضّابط رجل البريد ليسأله عن الأمر، وذلك الرّجل أحضر معه ساعي البريد الذي كان يوصل الرّسائل لها.

الضّابط سأل ساعي البريد الشّاب بفضول واهتمام: "ماذا تعرف عن القتيلة؟" ،فأجاب فتى البريد بتعاطف ودموع يكابدها بصعوبة: "هي أرقّ امرأة قابلتها في حياتي؛ لقد كانت تصلها رسالة من جهة مجهولة في كلّ يوم، وهي كانت تنتظرها باهتمام بالغ ،وعندما انقطعت الرّسائل عن الوصول إليها، كانت تأتي بنفسها إلى مكتب البريد للتأكّد من وصول أيّ رسالة منها، وكانت في كلّ مرة تعود مجرجرة أذيال الخيبة وراءها".

- الضّابط بفضول: هل عندكَ أدنى فكرة عمّن أقدم على قتلها؟
- ساعي البريد بجزم: لقد قتلها انتظار الرّسالة ممّن تحبّ.
- الضّابط: وكيف عرفتَ أنّ الرّسائل المرسلة إليها كان يرسلها حبيب ما؟
- ساعي البريد بحكمة مصطنعة: الحبّ وحده من يكسر قلب المرأة العاشقة.

- الضّابط بتشكيك: ولكنّها ماتت مسمومة.

- ساعي البريد: لا تصدّق ذلك يا سيدي الضّابط؛ لقد ماتت بسبب انكسار قلبها العاشق.

ظلّ الضّابط يحدّث نفسه بأنّ هؤلاء الشّهود ليسوا أكثر من مجموعة من المعتوهين، وكلّ منهم يقدّم شهادة أعجب من الأخرى،؛فبائعة الحليب في الحيّ أكدّت له أنّ القتيلة كانت امرأة شاذة معلّقة بين عالمي الذّكورة والأنوثة، وأنّها كانت تملك جسد امرأة وقلب رجل وصوت فتى مراهق، وهذا الخليط المتعب جعلها تنعزل في بيتها، وتعيش وحدة قاسية، وكانت صديقتها الوحيدة هي مَنْ تعيش معها في حياة سرّية لا يعرف أحد تفاصيلها، وفجأة اختفت تلك الصّديقة، وبقيت القتيلة وحيدة إلى أن اكتشف الجميع أمر موتها.

لعلّ تلك الصّديقة الرّاحلة عنها هي من دسّت لها السّم في فطائرها كي تدفن معها سرّاً خطيراً من أسرار حياتهما الغامضة.

بائع الخبر في البلدة قال إنّها كانت امرأة خمسينيّة وحيدة وفقيرة تعيش حياة غامضة، ولا يعرف أحد أيّ حقائق عنها سوى أنّها تملك جسداً رشيقاً رائعاً، وأنّها كانت تتمتم بأغانٍ قديمة بصوت عذب حلو؛ لعلّها كانت فنّانة شهيرة في الماضي الجميل من حياتها، ورجل ما هو من أبعدها عن فنّها وعالمها وماضيها، وجعلها تعيش في وحدة اختياريّة في ذلك البيت الرّيفيّ

المتواضع، وقد يكون هذا الرّجل المتسبّب في عزلتها هو من لجأ إلى قتلها أخيراً كي يستريح من وجودها في حياته.

تلك البائعة في سوق التّحف الشّرقيّة قالت: "إنّها شابّة جميلة وماجنة، وتعيش حياة اللّهو بكلّ ما فيها من تفاصيل، ولذلك من الطّبيعيّ أن تُقتل بهذا الشّكل الغامض".

لكن الشّاب العتّال في السّوق القديمة للخضار والفواكه أكّد أنّها كانت امرأة عجوز وحيدة تعيش في بيتها في عزلة اختياريّة بعد أن توّفيت أمّها، وتركتها وحيدة، وهي من قضت معظم أيّام شبابها في معتقل العدوّ الصّهيونيّ، وعندما خرجتْ منه وجدت في انتظارها أمّها العجوز التي سرعان ما انتقلت إلى جوار ربّها، وتركتها وحيدة في الحياة، لكنّها لم تنس قضية الكفاح الوطنيّ ضدّ الاحتلال الصّهيونيّ، وظلّت تتواصل مع الفدائيين، وتمدّهم بمساعدات خاصّة سريّة.

لا أحد يعرف بالضّبط ماذا كان دورها في التّحرير المسلّح لفلسطين، ولكن لا شكّ أنّ عزلتها كانت في سبيل ذلك، وأنّ هذا النّشاط بالتّحديد هو ما يفسّر سبب قتلها بالسّم النّادر النّوع من قِبَل الموساد الصّهيونيّ.

أحد الصّبية في الحيّ ممّن اعتادت على أن تطلب مساعدتهم في تنظيف حديقة البيت والعليّة قال: "إنّها كانت ألطف امرأة رآها في الدّنيا؛ فقد كانت تربّي عشرات القطط في حديقة منزلها، وكانت محبّة لكلّ من تقابل من الأطفال، وتقدّم لهم البسكويت المحلّى الذي تصنعه بنفسها، وأنّها

كانت امرأة بكّاءة يهزّها أيّ موقف إنسانيّ مهما صغر، ولو كان مشهد احتضان أمّ ما لطفلها الصّغير.لا بدّ أنّها انتحرت لأنّها لم تطق الحياة دون زوج وأبناء".

أمّا عامل النّظافة في المنطقة فقد جزم أنّه يعرفها عن قرب، وأنّ اسمها أم زينة، وأنّ عندها خمس بنات متزوّجات، ويعشن مع أزواجهنّ في أوروبا والخليج والبرازيل، وأنّهن يتواصلن معها من وقت إلى آخر، ويرسلن لها من المال ما يكفي لأن تعيش به حياة كريمة، إلاّ أنّها تزهد بما يرسلنه لها من المال، وتتصدّق به على عمّال نظافة الحيّ وبعض متسوليه، في حين تعتاش ممّا تجني من أجور نظير خدمات كتابيّة تقوم بها.

لعلّها كانت كاتبة أو شيئاً من هذا القبيل.هي كانت تحبّ الأوراق والكتب،وكانت قمامتها تعجّ بالأوراق الممزّقة ومِزق المجلات الملوّنة والملصقات الدّعائيّة.

هناك أكثر من عشر شهادات أخرى ملبسة في ملف القضيّة، جميعها سمعها بفضول، ولكنّها شهادات مجنونة أوصلته إلى الفراغ والتّيه والضّياع؛ إذ ما وجد فيها معلومة واحدة تؤكّد ما سمع منهم سوى أغلفة الرّسائل الفارغة، ولا وجد دليلاً واحداً يكذّب شهاداتهم، ووجهها الغارق في الموت لا زال يلاحقه، وهو مرتبك قلق خائف ووحيد.

يوقّع المحضر، ويكتب ملاحظاته السّريعة عليه، ويضعه في بريد الصّادر صباحاً إلى النّيابة العامّة، ويشرع يمتصّ دخان سيجارته بتيهٍ خانق،

ويمضي محاولاً أن يتذكّر اسم تلك العاشقة التي قابلها في الزّمن الماضي حيث الطّيش والمجون والأنانيّة والشّباب الجامح العطشان.

يبتسم ساخراً من نفسه؛ فما حاجته إلى أن يحاول تذكّر اسمها، وهي تعيش في وجدانه، واسمها يهتف في أعماقه دون توقّف، اسمها منى، وهي حبّ حياته الوحيد، لم يعشق امرأة سواها، ولم يخذل امرأة سواها، لقد عشقته في الماضي عندما كانا يدرسان معاً في الجامعة العسكريّة، فكلاهما كان يبغي أن يتخرّج برتبة ضابط، وأن يخدم وطنه، لكنّه تخلّى عنها، وأنكر أبوّته لجنينها القابع في رحمها، فهربت من وجه فضيحتها، وتركت الجامعة، وانسحبت من حياته وحياة أهليها منذ ذلك الوقت، لقد بحث عنها دون توقّف، لكنّه لم يجدها،وظلّ منذ ذلك الوقت يحلم بوجهها الحمائميّ الطّاهر.

لا يعرف إن كانت ميّتة أم حية، ولا تدركه راحة بال وهو من لا يعرف إن كان له ابن منها، أم أنّ هذا الابن أُجهض عندما تخلّى عنه؟ لكنّه سيستمر في البحث عنها حتى آخر لحظة من حياته، ما دام يراها في كلّ مكان يقصده، حتى أنّه قد رآها في وجه تلك القتيلة المسجّاة في مشرحة الطّبّ الشّرعيّ إلى حين صدور قرار رسميّ بدفنها على نفقة الدّولة.

يبحث عنها في وجوه الأحياء والأموات، ويتمنّى أن يجدها ولو كانت جثّة هامدة دون حياة. أتراها هي ذاتها التي يحقّق في مقتلها؟ أم هي امرأة أخرى لم يقابلها بعد؟ فإن لم تكن هي، فلماذا كانت تلك الجثّة تغازله؟ لماذا يرى ملامح حبيبته المخذولة في ملامح هذه المرأة القتيلة؟ بل لماذا يراها في ملامح كلّ امرأة يقابلها في دربه؟ هل هو أيضاً قد أصابه الجنون؟ أم جميع

مـن قـدّموا شـهاداتهم في هـذه القضـيّة يريـدون أن يوصـلوه إلى الهـذيان والهستيريا؟

في هذه اللّحظة لا يستطيع أن يعرف أيّ شـيء يقـيني سـوى أنّ النّـوم سيأخذه إلى وجه منى، ولـذلك عليـه أن يستسـلم لـه ليقبّـل وجههـا البهـيّ الشّهيّ.

ألف كذبة وكذبة

ألف كذبة وكذبة

"زعم الرّاوي أنّ عدد الكذبات البشريّة أكبر من أن يُحصى عدداً"

(١)

لولا ذلك المجرم المعتوه الذي يدير هذا المعتقلّ السّريّ الرّهيب الذي يديره بوحشيّة منقطعة النّظير ما وجد عملاً يناسب رغباته ونزعاته ومهنته المتنكرّة برداء الرّحمة؛ فهو ما خُلق ليكون طبيباً جرّاحاً، ولكن والده قهره ليكون طبيباً، وهو من كان يرغب في أن يكون لصّاً أو سفّاحاً أو مصارعاً قاتلاً في أحسن الأحوال؛ فهوايته العظمى ونشوته الكاملة تتجسّد في لحظات متعته في مراقبة أيّ إنسان يتمرّغ في الألم، ويخبط في دمه حتى يتصفّى أمامه، ولذلك عمله في هذا المعتقل يرضي جوعه للدّم والتّعذيب؛ فوظيفته تتلخّص في أن يعالج المعتقلين الموشكين على الهلاك تحت وطأة الألم، ولذلك يمنع الموت عنهم كي يطول تعذيبهم، ولا تنتهي عذاباتهم، ويحظى بأكبر قدر ممكن من المتعة بتعذيب غيره من البشر.

(٢)

ظنّ أنّ عمله القانونيّ في تلك المؤسّسة العريقة يعني أنّه سوف يتأكّد من أن المؤسّسة تسير وفق قواعد القانون والعدالة والحقّ، لكن سرعان ما أفهمه المسؤول ومعاونته العرجاء القدم والضّمير أنّ عمله القانونيّ في هذه المؤسّسة يعني أن يشرعن فساد المسؤول ومعاونيه، وأن يقونن كلّ مفسدة يقومون بها، وأن يستخدم بنود القانون وثغراته لأجل أن ينتقم قانونيّاً من كلّ شريف أو حرّة لا يجيدان القفز كالقرود بين يدي المسؤول من أجل إرضائه ولو على حساب كلّ نزاهة أو شرف أو عدالة.

(٣)

له تعريفه الخاصّ للإعاقة، فهو لا يعرّف الإعاقة بمثل ما يعرّفها به معلموه وأصدقاؤه من المختصّين في تعليم الحالات الخاصّة، بل يضحك مليّاً وهو يعرّفها بثقة مثل قرّد يقف عنوة على رأس قرداتي أصلع: "الإعاقة هي عدم القدرة على الكذب والخداع والمداهنة بالقدر الذي يسمح لك بأن تأخذ أمراً ليس حقّك".

(٤)

كيف يمكنه أن يشرح لمعلمته الرّقيقة مثل الزّهرات الجميلة الصّفراء المزروعة في حوض أزهار أمّه أنّ عليها أن تكفّ عن جهدها الموصول لإخراجه من عالمه الهادئ الجميل الذي اسمه التّوحّد، هي تعتقد أنّه طفل معاق، ويحتاج جهداً عملاقاً ومخلصاً كي يخرج من صمته وانكفائه على ذاته، لينزلق في عالمها المعيش، ويعيش كوارثه وخيباته، أمّا هو فيتمسّك بإصرار بالبقاء في عالمه المتوحّد الخاصّ حيث كلّ شيء هادئ وممكن وحنون.

معلّمته المحبّبة تنخرط في بكاء مقهور؛ لأنّها تعجز عن إخراج طالبها الصّغير من عزلته، وتغرب في تنشّقات العويل، فيقترب الطّفل الصّغير منها، ويخرج قليلاً عن صمت عالمه المحبّب، ويطبع قبلة على جبينها، ويقول لها: "لا تبكي يا معلمتي الحبيبة".

(٥)

عقوبته القضائيّة قضت بأن يقضي ١٠٠ ساعة عمل تطوّعي في خدمة المجتمع نظير الجنحة التي قام بها، وقد كان نصيبه في توزيع المحكمة

لساعاته عمله التّطوّعيّ أن يرافق الأطفال المصابين بأمراض قاتلة في مستشفى الأطفال، وتلك المشرفة اختارت له أن يكون جليساً مسليّاً لتلك الفتاة الصّغيرة السّمراء حليقة الشّعر والحاجبين، وهو قبل بعقوبته كي يستطيع العودة إلى عمله في شركة البورصة.

كان يعدّ نفسه لساعات من الملل والدّعم النّفسيّ الطّويل لتلك الطّفلة المريضة بسرطان الدّم، ولكنّها هي من اعتادت أن تبهجه بقصصها الحلم عن الحياة الجميلة التي تنتظرها، وتنتظر أصدقاءها المرضى عندما يشفون جميعاً من أمراضهم، حتى عندما كان الموت يبتلع -على حين غرّة- أصدقاءها المرضى الواحد تلو الآخر كانت تنتصر عليه، وترفض أن يسرقها من إيمانها بقصصها الحلم.

انقضت مدّة محكوميته بمجالستها طويلاً، وعاد إلى عمله، وظلّت تروي له القصص، ولكن ليس وهي مضطجعة على سريرها الأبيض الصّغير في المستشفى، بل وهي تتنطنط أمامه بحيوية بعد عودتها من مدرستها عندما يذهب لزيارتها في بيت والديها، ويحضر لها السّكاكر والمرّطّبات المحلّاة والقصص المصوّرة الجميلة.

(٦)

عاش حياته يلبس قناع الفرح والسّعادة والابتسامة العريضة الممتدة من الأذن إلى الأخرى، ويسعد الجميع بنكاته وطرفه وملحه وخفّة ظلّه، ولكن عندما قضى نحبه منتحراً وجدوا على وجهه تكشيرة ملبّدة تجعّد ملامحه جميعها، ودمعات طافحة من عينيه، ورسالة مكتوبة على عجل بخطّ يده، يقول فيها: "هذا عالم تعس لا يُطاق".

(٧)

اقترب منه ذلك الصّبي المدلّل الذي أمر بإيقافه في سجن مخفر الشّرطة إلى حين ترحيله في الصّباح إلى المحكمة بعد أن أطلق الرّصاص ببرود أعصاب على زميله الذي يدرس معه في الثّانويّة العامّة انتقاماً منه لتميّزه، فأرداه قتيلاً على الفور، وقال له بشماتة والشّرطيّ المناوب ينزع الأصفاد عن يديه مكرهاً: "ألم أقل لكَ أيّها الضّابط أنّ القانون خُلق لأمثالكم من البشر الذين يعلقون بسهولة في نسيج بيت العنكبوت، أمّا أمثالي وأمثال أبي من المواطنين، فنحن مثل الغربان القويّة التي تعصف بنسيج بيت العنكبوت، وترمي به بعيداً.

(٨)

القبّرة الأمّ وقفت على الغصن إلى جانب ابنتها القبّرة الابنة، وقالت لها بصدق أموميّ حريص: "يا صغيرتي،لا تقتربي من دولة المجانين هذه، حيث العاقل فيها هو المجنون الحقيقيّ المستهدف.إمّا أن تبتعدي عنهم،أو أن تمارسي الجنون مثلهم".

(٩)

السّياسيّ الشّهير الجاهل أراد أن يكسب شعبيّة أوسع تؤهلّه من جديد لغزو البرلمان، والهبش منه، ولذلك قرّر أن يكرّم عالم الذّرة الشّهير ابن الوطن الذي تجنّس بجنسية أمريكيّة، ويستقرّ حيث موطن جنسيته، وجاء في زيارة طارئة إلى وطنه الأوّل المنسي.

الميزانيّة المرصودة لتكريمه كانت كبيرة، ولكنّ السّياسيّ الشهّير الجاهل مستعدّ للتّضحية بالكثير من المال مقابل أن يظفر بأكبر عدد من أصوات المنتخبين، وإن كان يستخسر هذا المبلغ بذلك العالم المشهور بتخصّصه بتلك الدّرة التي لا تكاد تُرى بالعين المجرّدة، ولا قيمة لها في الكون برأيه العتيد.

ربما كان سوف يحترمه أكثر لو كان متخصّصاً بالصّخور الكبيرة الضّخمة بدل تلك الدّرات غير المرئيّة.

(١٠)

الامبراطور المتعجرف أراد أن يثبت لحكيم الامبراطوريّة العجوز المجرّب أنّه قادر على أن يحطّم أيّ حكمة يصنعها الحكيم كي ينصحه، والحكيم قرّر أن يضعه في أحقر امتحان ممكن؛ ولذلك قال له: "يا مولاي الإمبراطور، ما تراك فاعل بملك عريض قد تتخلّى عنه ببساطة مقابل أن تتبوّل، أو أن تتغوّط، أو أن تخرج ريحاً؟"

الامبراطور التّعس قرّر أن يعاند هذه الصّغائر الثّلاث حتى يكسر حكمة الحكيم، وطال عناده لجسده واحتياجاته حتى انفجرت أحشاؤه، ومات، وأراح الامبراطوريّة من عناده الأحمق.

(١١)

أخبره المريض المخبول الذي أحضروه إليه مكبّلاً بالحديد أنّ جنيّة جميلة حسناء تهواه، وأنّها تسكن جسده، وأنّها تضاجعه في كلّ يوم عشرات المرّات، وأنّها تهدّد كلّ من يحاول إخراجها من جسده بأن تتلبّسه، وتسكن جسده إلى الأبد دون أن تغادره.

منذ علم طارد الأرواح والجنّ بهذا التّهديد، وهو يبذل جهده كي يحرّره منها، وينتظر بشوق أن تحلّ في جسده –وفق تهديدها- ليقبض عليها، فتنزل في جسده دون مغادرة؛ فهو في شوق إلى امرأة جميلة تسكنه دون هجر، حتى وإن كانت جنّية مولعة بالحلول في أجساد رجال الإنس.

(١٢)

هو يفخر بأنّه ضليع خبير في سلالات الخيل والإبل والأكباش، وهو المستشار الأوّل دون منازع في أمورها وطباعها وعاداتها وأخلاقها،؛ ولذلك هو يجيد التّعامل معها، وضبط سلوكياتها ومشاعرها، ولكنّه لا يجيد أن يفهم طباع زوجته أو بناته، كما يجيد فهم أخلاق الخيل والإبل والأكباش.

(١٣)

هي مغنيّة تلبس ثوباً واحداً مرصّعاً بالماس بمليون دولار، في حين أنّ تلك الممّثلة العالميّة تنفق أموالها على الأطفال الجوعى في الأماكن المنكوبة في الدّنيا، وعندما وجدت ذلك الطّفل الإفريقيّ وحيداً منبوذاً -بعد أن فقد والديه بسبب مرض الإيدز،وتشاءم النّاس منه لأنّه وُلد مصاباً بالمرض ذاته- قرّرت دون لحظة تردّد أن تتبّناه، وأن توليه الرّعاية التي يحتاجها.

المغنّية السّمينة ذات الأثواب المليونّية علّقت على هذا التّبنّي بأنّه يثير قلقها حول المستقبل الدّينيّ لهذا الطّفل، ودعت الممّثلة العالميّة إلى أن تردّ الطّفل اليتيم المريض إلى وطنه ليموت فيه بكرامة، ولو قضى نحبه فيه مرضاً وإهمالاً.

(١٤)

عندما يحبّ شجرة ما، ويرغب في أن يهبها حياة مديدة قويّة؛ فهو يقلّل من سقايتها بالماء، وتقديم الطّعام لها، وبذلك يجبرها على أن تبحث عن الماء والطّعام في أعماق الأرض عبر مدّ جذورها بعيداً، وبذلك تغدو قويّة راسية ثابت الجذر، على عكس الشّجرة التي يضعفها الدّلال، ويقصّر جذورها، فتخلعها أيّ ريح ضعيفة عابرة.

(١٥)

أبونا الحجّ عمر ورث عطيّة علاج المرضى من أجداده الأولياء، يأتيه المرضى من كلّ مكان في الدّنيا، فيربطهم بالسّلاسل، ويعالجهم ببصاقه المخلوط بالماء السّاخن، وعندما يتلبّسهم المرض الشّديد يعذبهم طويلاً في سراديب أرضيّة حتى يصيبهم جنون كامل ينسيهم المرض والماضي كلّه.

إنّه يجزم -مرّة تلو الأخرى- بأنّ فنون العلاج جميعها موجودة في داخل جوفه، أمّا عندما ألمّ به مرض عابر، فقد سارع إلى بريطانيا للعلاج في أكبر مشافيها الصّحيّة؛ لأنّه يعرف جيّداً أن لا وجود لشيء داخل جوفه سوى للدّيدان والبكتيريا الهاضمة للطّعام.

(١٦)

لقد عاش طوال عمره مشرّداً، يجوب الشّوارع وحيداً، كان طوال الوقت يحلم بحياة الأثرياء، وفجأة عثر على ورقة يانصيب ملقاة في الشّارع، فالتقطها، ليكتشف أنّها فائزة بمليون دولار، ومنذ ذلك الوقت عاش حياة الأثرياء، وهو مستغرق في الحلم بحياة المتشردين.

(IV)

لقد اكتشف الدّجاج بعد طول معاناة واضطهاد آدميّ له أنّه الكائن الأكثر استعباداً في كوكب الأرض، والأكثر عدداً فيه؛ فقرّر أن يقوم بثورة كوكبيّة ليسحق الإنسان وظلمه.

وقد بدأ ثورته مطالباً بأشكال الحريّة والعدالة والإخاء جميعها، وكاد ينجح في تحقيق مطالبه كاملة، إلاّ أنّه لم يحّقق من مطالبة العريضة إلاّ الحصول على أعلاف دسمة وإضاءة لمهاجعه في اللّيل، وذبحه بالطّريقة الإسلاميّة؛ إذ هي الأقل إيلاماً له.

وهذا التّحقيق الحقير لمطالبه كان لأنّه سلّم قيادة ثورته لدجاجة لم تنس أبداً أنّ الجبن والذّل في الدّجاج طبع، حتى ولو علت على الإنسان، وانتصرت عليه.

(IA)

القاضي المشهور بخفّة دمّه أخبرهم أنّهم يستطيعون الاستمرار في إدارة الدّولة على الرّغم من فسادهم ولصوصيتهم، ولكن اشترط نظير ذلك أن يقطع يمين كلّ من يسرق منهم من مال الشّعب، وله على الرّغم من ذلك الاستمرار في العمل بيد واحدة.

كبير اللّصوص الأسياد وافق على هذا الشّرط؛ فهو ورجال جماعتهم يكتفون بيد واحدة للاستمرار في النّهب والسّلب.

(١٩)

هو لم يعش حياته كما تمنّى، ولكنّه قرّر أن يموت كما يشتهي؛ وقد عمل جاهداً كي يموت نقيّاً نزيهاً شريفاً، وقد مات كما تمنّى؛ فعاش خالداً في ضمائر من خلفه من البشر، كما أمّل نفسه دائماً.

(٢٠)

العالم الاجتماعيّ المترف يصرّح بأن الذين يعتاشون على القمامة هم لا يعانون من فقر مأساويّ، وإنّما هم يعيشون جماليّات اكتشاف عوالم النّاس الجوّانيّة عبر التّجسّس على نفاياتهم التي يلقونها في حاويات القمامة.

(٢١)

ابنه الصّغير غير مغرم بأكل شطائر العسل والزّبدة، ولا يرغب في لبس قميص مدرسة حريريّ، ولكنّه يصمّم على أن يأكل ابنه تلك الشّطائر، وأن يكسي جسده بملابس الحرير، وكلّما رأى ابنه الصّغير يأكل شطيرة العسل والزّبدة ذات الخبز الإفرنجيّ شعر بأنّ ذاته الطّفل المتوارية في أعماقه المحرومة تأكل بمتعة من تلك الشّطائر التي حُرم منها طوال طفولته بسبب فقر والده.

(٢٢)

ترك لها أسلافها من السّحرة كنزاً من التّعويذات والوصفات السّحريّة وترنيمات الاستحواذ والمسخ والتّحوّل وأسراراً لا تنضب من خلطات الشّر والإيذاء والانتقام؛ يمكنها الآن أن تتربّع على عرش السّاحرات الشّريرات، وأن تحكم العالم السّفليّ كاملاً، لكن ذلك كلّه لا

يعنيها؛ فهي معنيّة بذلك الحبّ الذي يملأ أعماقها، ولذلك سوف تهدي البشر أجمعين الحبّ والعشق؛ ولذلك فقد أحرقت كتبها السّحريّة الإرث، وأبقت فقط على وصفة الحبّ، وكلّما قصدها قاصد أو قاصدة كي تصنع له حجاب كره، أو تميمة فراق، خدعتهم عن قصد وتعمّد، وأعطتهم حجاب حبّ، وأرسلتهم إلى دنيا الحبّ مكرهين.

(٢٣)

لا زال تقريره الأمنيّ الشّهريّ يشير إلى أنّ سلوكه مريب؛ ولذلك فهو يوصى بعدم تجديد إقامته،وبعدم تمديد عقد العمل معه لسنة أخرى، وهذا يعني أنّه سيعود من جديد إلى الفقر والبطالة، وستعود أسرته إلى الاستدانة من أجل أن تبقى على قيد الحياة.

عليه أن يطيع صديقه السّكير، وأن يحسّن سلوكه وفق ما ذكر له، وهو العليم بمقومات التّقرير الأمنيّ الجيّد أو حتى الممتاز؛ فهو ابن الرّجل الأوّل في المخابرات في المدينة.

والسّلوك الحسن عند رجال المخابرات الذين يتزّعمهم والد صديقه يعني عدم الصّلاة جماعة في المسجد، والغياب عن صلاة العشاء، وعدم حضور الدّروس الدّينيّة والمهرجانات الإسلاميّة، ويجّذ أن يكون سكّيراً وزير نساء كي يحصل على تقرير ممتاز يسمح له بتجديد إقامته، وتمديد عقد عمله في المدينة، وهو مضطرّ للحصول على تقرير أمنيّ ممتاز كي يوفّر لقمة العيش له ولأسرته، مهما كلّفه الأمر.

(٢٤)

المسؤول الأمنيّ يـؤمن بالدّيمقراطيّـة وحـقّ الاختيـار والاعـتراض؛ ولذلك هو يقرّ السّـلوكيّات القمعيّـة الـتي يتّخـذها ضـدّ الأحـرار في البلـد، ويذكي عيون زبانيته في كلّ مكان، ويوسّع المعتقلات، ويشلّ وسـائل التّعـبير عـن الـرّأي، وفي الوقـت ذاتـه يخـرج في صـفوف مظـاهرة احتجاجيّـة ضـدّ سلوكياته القمعيّة وقراراتـه القهريّـة، ويتقـدّم الصّـفوف، ويرتقـي الأكتـاف هاتفاً: "فليسقط ظلم القمعيين".

(٢٥)

أخيراً ها هو ذا يرى خصمه اللّدود معلّقاً على عود المشـنقة، ورقبتـه متدليّة على صدره، ولسانه نافر من تجويـف فمـه، هـو الآن لا شـيء، مجـرّد كومة لحمة وعظم شرعت الغربان تنهشها.

وهو الآن السّيد المنتصر الغالب، لكنّـه لا يشـعر إلاّ بالهزيمـة النّكـراء؛ فذلك المشنوق ظلماً هو في قلوب الجميع حيّ منتصر، أمّا هـو فمجـرّد ظـالم يقبع خارج قلوبهم، وتعيش سيرته تحت نعال أحذيتهم.

يتمنّى لـو أنّـه كـان المشـنوق الـذي يحظـى بهـذا الحـبّ والتّعـاطف والتّخليد المحتمل له؛ لقد عاش خصمه النّبيل بطلاً، وها قد سـاعده علـى أن يموت بطلاً كذلك.

(٢٦)

كلّما اكتشفتْ عشيقة له خيانته لها، وعلاقته الجديدة مع غيرها، ابتسم ابتسامته الصّفراء ذاتها، ولم يبال بفجيعتها، وقال لها: "ها قد اكتشفتِ إذن مـا

اكتشفه الشّيطان في سلالتنا الطّينيّة الضّعيفة؛ إنّنا جميعاً نحبّ الخطيئة، وأنا بالتّحديد أحبّ الوقوع في الخطيئة مرّة تلو أخرى".

(٢٧)

كلّف أهل التّاريخ بأن يؤرّخوا لزمن حكمه وحكم سلالته من الظّلمة الغاشمين بكلّ صدق وحياديّة.

بعد سنين انتهى عمل التّأريخ المزوّر للأزمان التي طلبها، فاكتشف أنّه كان من الصّالحين العادلين، وأنّه ورث عدله عن أسلافه السّادة النّجب، وعندها صدّق ما قرأ، وأمر بقطع رؤوس أولئك المنافقين الكاذبين من المؤرّخين خوفاً من أن يكتبوا ضدّه الكثير ممّا لم يقترفه من أخطاء بعد أن يموت، كما نحلوه الكثير من المكارم التي لم يقم بها في حياته.

(٢٨)

لطالما هرب من الماء كي لا يقتله؛ في موطنه الأصليّ هرب من العمل في المزارع كي لا تنخر البلهارسيا جسده الأسمر الصّغير، وعندما حدث ذلك الانقلاب في بلده هرب عبر قوارب الهجرة غير الشّرعيّة إلى بلد أوروبيّ متوسطيّ لينجو من الماء القاتل الذي كاد يبتلعه في البحر، ولكن عندما أصابه ذلك المرض الصّدريّ النّادر لم يستطع أن يهرب من الماء الذي أغرق رئتيه، ليخنقه دون رحمة، ويمضي به إلى تراب مثواه الأخير.

(٢٩)

أخيراً أخبرهم أنّه وجد المرأة الحلم المستحيل التي أمضى أربعة عقود من عمره يبحث عنها، وها هو الآن يخبرهم بنبأ عشقهما الجامح،

ويدعوهم إلى حفل زفافهما، وجميعهم في شوق وتسابق ليروا تلك المرأة التّحفة التي لطالما حدّثهم عنها، وهو يبحث عنها.

لا بدّ أنّها منحوتة على شكل تمثال إغريقيّ رخاميّ، ولها عينان سماويتان تتسعان لدفن الأفق فيهما، ولها شفتان ترنيمتان من ترانيم الخلود، وشعرها هالة من هالات الحوريّات المقدّسات، لا بدّ أنّها ربّة من ربّات الجمال الخالد، كما كان صديقهم يصف معشوقته الحلم التي يبحث عنها.

في حفل الزّفاف وقفوا جميعاً متخشّبين خرساً، لا ينبس أحدهم ببنت شفة، وهم يرون إيقونته المنتظرة ليست أكثر من امرأة متضائلة الجمال والحضور والأنوثّة، في حين يراها زوجها العروس تحفة من تحف إبداع الله في خلقه.

(٣٠)

حاولتْ دائماً أن تكون صورة عن غيرها،؛ قلّدت كلّ من قابلت في حياتها من صديقات وجارات ومعلّمات وقريبات، حتى ما عادت تذكر ذاتها، وعندما كانت تقف في المرآة كانت ترى عشيرة من النّساء المتوحّشات اللّواتي التهمن ذاتها، وغالباً ما كان ينتهي مشهد المرآة بنحيب مفجّع على ذاتها التي فقدتها للأبد في رحلة بحثها عن الأخريات.

(٣١)

علم هندسة الجينات استطاع أن يهندس البشر المثال المميزين؛ وبذلك امتلأ العالم بالنّخب من القادة والفنانين والمفكرين والفلاسفة والمصلحين وروّاد الفضاء والمبدعين، واختفى من التّاريخ ما اسمه البشر غير النّخب، وغدا العالم في حالة رتابة خانقة، وبطالة قاتلة، وبدأ البشر

المثاليون يحلمون بعالم جديد فيه نواقص وشرور وأحلام مشروخة كي ينشغلوا بإصلاحه؛ فيخلقوا هدفاً للعيش من أجله.

(٣٢)

في زمن الحرب يصبح الحبّ والبقاء على قيد الحياة هما الهدفان الأسمى في الحياة، وهدفه الأعظم منهما هو أن يسعد والديه بتحقيق حلمهما في أن يدرس الطّب في أوروبا، لكنّه يعلم أن ما يرسلان له من مال هو آخر ما يملكان من مال بعد بيع كلّ ما يملكون كي يستطيع استكمال دراسته للطّب، وهو يدّخر الأموال التي يرسلونها إليه، ولا ينفق منها أبداً على أمل أن يعود إلى الوطن، ويشتري لهما بيتاً جميلاً فيه بعد انتهاء الحرب الأهليّة هناك، في حين يعمل في مطعم شرقيّ صغير ليعتاش من راتبه منه حتى تضع الحرب أوزارها اللّعينة.

(٣٣)

غريزتها التي تدعوها للبقاء والحياة وعدم الموت علّمتها أن تحوّل ألمها إلى لعبة؛ فقد حوّلت موت والديها إلى لعبة اختفاء، وصيّرت كارثة تقدّمها في السّن إلى لعبة في التّنكّر، وجعلت من خيباتها في الحياة لعبة تّوقّعات، وحوّلت وحدتها في الحياة إلى لعبة صبر، وأخيراً استطاعت أن تحوّل الحبّ إلى لعبة من المراحل يجب أن تنتهي بألم يدمي القلب، وفراق سريع، واشتياق جارف إلى الانخراط في قصّة حبّ جديدة، وهي تجيد اللّعبات التي ابتكرتها .

(٣٤)

لن يكذب على اللّه ولو استلّوا روحه، ولن يخطب في النّاس في صلاة الجمعة إلاّ بالحقّ، ولذلك اعتاد على أن يذهب إلى صلاة الجمعة، وهو يحمل معه في كيس بلاستيكيّ كبير يحوي فرشة نوم ومخدّة وغطاء سميك؛ لأنّه يعرف أنّه سينام ليلته في السّجن موقوفاً بتهمة تأليب الشّعب على المقامات العليا، وقد ألف المصلّون ورجال المخابرات هذا المنظر، حتى بات المصلّون الشّباب يتسابقون إلى إنزال كيسه البلاستيكيّ من السّيارة ليرافقه في رحلته الأسبوعيّة المعتادة، في حين اعتاد رجال المخابرات المزروعين في المسجد على أن يساعدوا الشّيخ الدّاعية في حمل كيسه حتى يصلوا به إلى سيارة المخابرات المناوبة في المنطقة، لينقلوه إلى سجن التّوقيف إلى أن يتمّ التّحقيق الأسبوعيّ المعتاد معه.

(٣٥)

عندما لاحظ النّخاس اليهوديّ اللّئيم أنّه يخاف من الدّم، ويرتاع منه، رغب في أن يسرق متعته الآثمة من خوفه الفطريّ من الدّماء، وبدل أن يبيعه لمزارع يحتاج إلى عبيد أشدّاء كي يعملوا في زراعة أرضه، قرّر أن يحوّله إلى العمل في مجال المصارعة حتى الموت، ودفعه إلى ذلك المرابي على رهانات المصارعين.

المرّة الأولى التي رأى فيها العبد الشّاب الدّماء ولم يلتاع، هي عندما أراق دمه في الحلبة أمام جماهير غفيرة من الحيوانات البشريّة التي أتت للاستمتاع برؤية مصارعتهما إلى حين موت أحدهما، أمّا المرّة الثّانية التي استمتع فيها عندما رأى الدّم هي عندما شجّ رأس ذلك المرابي بهراوة ذات

رؤوس حديديّة، أمّا عندما سحق عظام ذلك النّخاس اليهوديّ الذي وهبه للعذاب والوحشيّة، فقد بدأ يشعر بنداء الدّم له، وحاجته إلى الاستزادة منه دون توقّف.

(٣٦)

اعتاد أن يقذف باقة ورود حمراء من نافذة منزلها؛ لتجدها على سريرها عندما تنام، كانت تعرف أنّها منه، ولذلك لم تبالِ بها في يوم من الأيام؛ لأنّها لا تحبّه، وكانت تلقي بها على سرير أختها التي كانت تحضن الباقة بمحبّة ،وتحدّثها عن أسرار الحبّ الحقيقيّ.

في يوم ما توقّف الشّاب عن قذف باقة الورد عبر نافذتها؛ لأنّه عرف أنّها قد هربت نحو البعيد مع الرّجل الذي تعشقه من أعماق قلبها.

ولكن الأخت الصّغرى ظلّت تنتظر باقة الورد المشتهاة، ولم يطلْ الانتظار بها حتى اشترت طاقة ورود حمراء تشبه تلك التي كانت معتادة عن حضنها، وذهبت على عجل إلى من تحبّ؛ فالعاشقة لا تتأخّر عمّن تعشقه بحقّ.

(٣٧)

هي تعشق تلك القصّة المصوّرة للأطفال، تملكها منذ كانت صغيرة، وتؤمن بأنّ الأمير العاشق الوسيم هو شخصيّة حقيقيّة، وأنّه ينتظرها في دنيا القصّة، وتؤجّل أحلامها حتى تدلف إلى عالمه؛ فهو لا شكّ في انتظارها منذ طفولتها.

اليوم عادت منكسرة القلب يائسة من دنيا البشر حيث لا مكان لها بين أحقادهم وقسوتهم ولؤم طباعهم.

أخذت حمامها على عجل، ومشّطت شعرها، وتزيّنت، وتعطّرت، وفتحت قصتها الملوّنة، وآمنت بأنّها قادرة على القفز في عوالمها، وبغمضة عين وجدتْ نفسها قد انتقلت إلى عالم القصّة، ورأت في الأفق أميرها يقترب منها والشّمس في الأفق تداعب شقرة شعرة الذّهبيّ.

(٣٨)

زوجة حاجب السّلطان اعتادت على أن تبتكر له طرقاً شتّى لأجل سحب ما في جيوب أفراد الرّعية، وآخر ابتكاراتها الإبليسيّة كانت ابتكار مشروع (صندوق الفقراء) الذي بدا من اسمه أنّه صندوق لمعونة الفقراء والمساكين والمعوزين، ولكن من تقوده قدماه إلى ذلك الصّندوق، يكتشف أنّه صندوق مخصّص للجباية من الفقراء الذين يفلتون في العادة من دفع المكوس والضّرائب؛ فتمّ تخصيص هذا الصّندوق لأجل عصرهم، وقلع جلودهم عن أجسادهم ليخرج منهم الدّرهم والقرش والفلس.

(٣٩)

أخبرها السّاحر المجوسيّ القادم من أرض النّار أنّ سحره لا يستطيع أن يجلب لها قلب ذلك الرّجل الذي تهواه؛ لأنّه مرتبط بطاقة الحبّ التي تجمعه بالمرأة التي يحبّها، ومن المستحيل أن يستطيع سحر -مهما بلغت قوته- أن يحّطم القوّة التي تجمعهما، وأن يسرق قلبه، وأن يضعه في حضنها.

لكنّه يستطيع بسحره الأسود أن يقتل حبيبها العاشق، وأن يحرق قلبه وقلب من تحبّه.

لكنّها لا تستطيع أن تحرق قلب من تحبّ، ولذلك تطلب من السّاحر المجوسيّ أن ينقل ما في قلبها من حبّ إلى قلب تلك المرأة التي يعشقها رجلها الذي تهواه منذ سنين؛ ليسعدا بحبّ عظيم لا حدود له؛ فما حاجتها بحبّ قلبها بعد الآن ما دام لن يحبّها في يوم مهما طال انتظارها لذلك.

(E.)

الفتى الشّجاع قرّر أن يستلّ سيفه، وأن يصعد إلى أعلى الجبل ليقتل الوحش ذا العيون الألف الذي يروّع النّاس بصوت زمجرتهم، ويقطع عنهم ماء الجبل.

جلّ ما يخشاه في صراعه المقبل معه هي عيونه الألف التي ستدركه في كلّ مكان يتحرّك فيه، ولكنّ حكيم القريّة ودّعه قائلاً: "يا بنيّ الشّجاع، لا عليك من عيونه الألف؛ فالمعوّل عليه هو بصر القلب لا بصر العينين".

(EI)

مرضه العضال يتمثّل في أنّ لا قلب له في صدره، هو فارغ الدّاخل، والحياة تحتاج إلى قلب نابض كي يشعر بالفرح والسّعادة.

طوّف على أطبّاء الدّنيا ليعرف سبب مرضه، لكنّه لم يفلح في معرفة علّته، إلاّ أنّ تلك العجوز الحكيمة المتنسّكة في أرض البحيرات، قد أخبرته أنّ لا قلب له لأنّ لا أمّ له؛ فمن ليس له أمّ، ليس له قلب.

(٤٢)

كان يجب معاقبة ذلك اللّص المبتدئ كي لا تفلت الأمور، ويصبح السّطو مهنة سهلة أو هواية آمنة لكلّ من يقدم عليها، ثم أنّ أمر الانضمام إليهم هو أمر يقرّرونه هم وفق حاجتهم إليه، أمّا أن يتجرّأ ذلك الرّجل العامل في تنظيف المبنى على أن يسرق ذلك القفل القديم الذي كان ملقياً في القمامة، فهذا أمر لا يُغتفر؛ فقد أثبتت التّحقيقات الطّويلة والمعقّدة التي أجرتها إدارة الأكاديميّة أنّ هذا القفل الصّدئ كان قد أُلقي بالخطأ في حاوية القمامة، وهو من أملاك الأكاديميّة القديمة، ولم يتمّ تقييده في كشوفات الإتلاف، وبذلك يكون أخذه هو سوء ائتمان من عامل النّظافة، وهو اعتداء على ممتلكات الأكاديميّة، ولذا يجب فصل عامل النّظافة من عمله عقاباً له على جريمته النّكراء هذه.

عامل النّظافة المسكين حاول عبثاً أن يبرّئ ساحته من هذه التّهمة الزّور، فكيف كان له أن يعرف أن أخذه لقفل قديم ملقى في حاوية القمامة سيصل به إلى اتّهامه بسوء الائتمان، وطرده من عمله؟

ولكنّ إدارة الأكاديميّة أصرّت على طرده من عمله مع حرمانه من كافّة مستحقاته الماليّة والأدبيّة كي يكون درساً مهمّاً لكلّ لصّ صغير يحاول أن ينافس اللّصوص الكبار في مهنتهم الحبيبة، وهي السّطو والسّلب والنّهب.

(٤٣)

لقد بحثت طويلاً في السّجلات الرّسميّة الحكوميّة الوطنيّة والعربيّة عن اسم أبيها الشّهيد ضمن قوائم الشّهداء في سبيل الدّفاع عن الوطن،

ولكنّها لم تجد اسمه أبداً، عادت مكسورة القلب إلى حضن أمّها، وهي لا تجد تفسيراً لعدم وجود اسم والدها الشّهيد بين أسماء الشّهداء المنقوشة بماء الذّهب على تلك المسلّة الرّخاميّة العملاقة.

الأمّ الحنون طوّقت بذراعيها الدّافئتين، وهمست في أذنها اليمنى قائلة: "لا تحزني يا حبيبتي الصّغيرة، فالأبطال الحقيقيون لم يعودوا من المعركة كي يكتبوا أسماءهم بذهب في سجلات الشّهداء والأبطال؛ فمن عادوا من المعركة سالمين ليكتبوا، ويدوّنوا هم الجبناء، أمّا الأبطال والشّجعان فقد ماتوا –في الغالب– في أرض المعركة؛ لأنّهم كانوا في الصّف الأوّل في القتال.

(٤٤)

عندما خرج من المعتقل الصّهيونيّ توقّع أن تهبه الأوطان العربيّة وسام تقدير لدفاعه الطّويل عن فلسطين باسمه وباسم كلّ عربيّ ومسلم وإنسان حرّ منتصر للعدالة، لكنّ الأوطان العربيّة قاطبة لم تهبه إلاّ وظيفة عامل وطن، وعندما تساءل ما معنى مهنة عامل وطن، ابتسم ذلك الموظّف السّمين مثل بطّة بلديّة معتّقة، وقال له بشماتة نجسة: "أيّ عامل نظافة".

عندها ابتسم الأسير المحرّر للتّو من أسره الذي طال لأكثر من عشرين عاماً، وقال له: "فعلاً أوطاننا بحاجة إلى التّنظيف"

(٤٥)

لا تتذكّر ما هي الأحزان والآلام الرّهيبة والقاسية التي مرّت بها، فجعلتها تفقد ذاكرتها على هذا النّحو المفاجئ، ولا تتذكّر من هم كلّ أولئك الذين يحيطون بها من رجال ونساء وأطفال، ويجلبون لها طبيباً تلو

الآخر لمعالجتها لتسترّد ذاكرتها، فتقوم بمهامها المقدّسة في إدارة أسرتها العملاقة التي تتكوّن من هذا العدد المهول من الأبناء والبنات والحفدة والأنسباء، ولا يعنيها أن يعتقد من حولها أنّها مصابة بمسّ سحر، أو بلوثة جنون، ولكن ما يعنيها بحقّ أنّها تشعر بسعادة غامرة وراحة أكيدة، وهي لا تجد في أعماقها مسحة حزن، أو ماضي معاناة، وتفكّر جدّياً بترك هذا البيت الكبير اللّئيم الذي لا يروق لها، لتترك المهام المعلّقة في انتظار عودتها إلى سابق عهدها معلّقة إلى الأبد، لتسافر إلى فرنسا لتتعلّم فنون الرّسم التي لم تنسَ أنّها تحبّها بشدّة، بعد أن تطلّق ذلك الرّجل السّتينيّ البليد الذي يزعمون أنّه كان زوجها في حياتها السّابقة التي نسيتها بشكل مفاجئ، ولا تريد أن تسترّدها أبداً.

(٤٦)

لم يستطع أن يفهم معنى سلوك الوطن تجاهه وتجاه ذلك الرّجل الآخر المواطن في الوطن ذاته؛ فالوطن كرّم ذلك المواطن، وأعطاه تقاعداً مبكّراً جدّاً، وراتباً تقاعدياً طوال العمر بدرجة إصابة عمل من الدّرجة الخاصّة في خدمة وطن، وبذلك حصل على دارة جميلة يسكن فيها، وسيارة فارهة بسائق مدفوع الأجر من الوطن، وراتب تقاعديّ عملاق، ومنحة دراسيّة لأبنائه جميعاً في أرقى الجامعات العالميّة خارج الوطن، وذلك نظير أنّ باب السّيارة الحكوميّة المصروفة له من الوطن قد انغلق على أصبع سبابته، فجرح السّبابة، وقلع الظّفر من مكانه.

أمّا هو فلم يعطه الوطن إلاّ تقاعداً هزيلاً لا يكفيه لشراء خبز بلديّ لأسرته على امتداد الشّهر، ودرع تقدير صدئ تقديراً له على شجاعته، وخسارته لقدمه اليمنى وهو في مهمّة رسميّة في خدمة الوطن.

(EV)

لا تفهم العصافير الجميلة معنى الجملة الحزينة "إنّه موسم اغتيال الأشجار الجميلة"، ولكنّها تدرك تماماً أنّ هذه الجملة المكرورة التي يسمعونها هنا وهناك، تعني أنّه اقترب موعد تنفيذ مشروع قطع أشجار الغابة وبناء مبنى تجاريّ عملاق مكانها، وهذا القرار كاف لأن تترك الوطن، وتهاجر إلى مكان بعيد حيث لا تزال الأشجار مغروزة بثبات في أوطانها.

(EA)

لا تستثيره النّساء بنات الحسب والنّسب والأصل العريق، ولا تلفت نظره تلكم النّساء اللّواتي يجدن الحديث المنمّق واتّباع آخر صراعات الموضة، وخريجات الجامعات الرّاقية، إنّما تثيره تلكم الخادمات المستقدمات من الدّول الأسيويّة الفقيرة، فعندما يرى أصابعهنّ الصّغيرة السّوداء تبرز من نعالهنّ البلاستيكيّة الملوّنة تتحرّك غرائزه كإعصار أو نزيف حمم من بركان، فيشتمّ منهنّ رائحة أنوثة فوّاحة، ويسترضيهنّ بكلّ ما يطلبن منه من مال حتى يقبلن هانئات بتسليم أنفسهنّ له، وعندما يقضي أربه منهنّ يشعر أنّه قد ذاق نساء الكون جميعاً في رشفة واحدة، ولا يعنيه إنّ كنّ بنات أصول وحسب ونسب، أم مكّدرات بالعناء والمشقّة وخدمة البيوت، المهمّ عنده أنّ

ذكورته تستفحل عند هذا النّوع من النّساء المهجورات غير المشتهيات إلاّ ما ندر.

(...)

هو يعشق تلك المرأة المتواضعة الجمال المنكوبة في أنوثتها الأقرب شبهاً إلى أنثى قرد الشمبانزي؛ فهي كتلة من المشاعر والأحاسيس والفكر والمواهب المتزاحمة، وهي نبيلة الطّباع والخصال، لا يستطيع من يعاشرها إلاّ أن يعشقها بكلّ ما في الكلمة من معنى؛ ولذلك هو ملتصق بها منذ أكثر من تسع سنوات، ولا يكاد يشتهي امرأة غيرها في الكون، ويستثمر كلّ لحظة من حياته ليرتشف منها حلو العشق والمعشر والإخلاص له.

لكنّه عندما يفكّر في الزّواج، فلن يتزوّجها أبداً؛ فهو يريد أن يختار أمّاً لأولاده تملك جسداً جميلاً، وملامح حلوة، حتى وإن كانت ابنة الشّيطان؛ فالزّواج عنده صفقة يجبّ أن تكون رابحة بالأشكال جميعها، أمّا الحبّ فهو رقصة قصيرة في الحياة التي تختار لكَ الحبيب دون أن تأخذ رأيكَ فيما اختارتْ لكَ.

(I...)

أمواله أكثر من أن يستطيع بشر أن ينفقها في حياة واحدة، ولو استمرّت لألف عام؛ ولذلك ينفق أمواله ببذخ على ممارسة هوايته الوحيدة والمحبّبة إلى نفسه؛ فهي هواية تملأ نفسه غروراً وكبراً وشبعاً غريباً من كلّ فرح؛ ولذلك يمارسها دون توقّف، فأكثر ما يفرحه أن يرى فقيراً أو فقيرة

يتذلّل له من أجل أن يجود عليه بقليل المال لينقذه من فاقته وحاجته، أمّا قمّة لذّته فتتحقق إن طرد فقيراً من بيته، أو نال من عرض فقيرة أو منكوبة لقاء أمواله التي يجود بها عليها، أمّا الفقيرات المتعفّفات فهنّ يبدّدن لذّته الوحيدة، ولا يطيق أن يراهنّ، أو أن يقابلهنّ في حياته؛ فهنّ يشعرنه بأنّه فقير حدّ الإفلاس، وأنّه رخيص إلى درجة مقيتة.

*****

انتهت المجموعة القصصيّة، لكن لم ينته الكذب!

*****

كُتبتْ المجموعة ذات صدق

د.سناء شعلان

أديبة وأكاديميّة وإعلاميّة أردنيّة من أصول فلسطينيّة، ومراسلة صحفيّة لبعض المجلات العربيّة، وناشطة في قضايا حقوق الإنسان والمرأة والطّفولة والعدالة الاجتماعيّة، تعمل أستاذة للأدب الحديث في الجامعة الأردنية/ الأردن، حاصلة على درجة الدّكتوراه في الأدب الحديث ونقده بدرجة امتياز، عضو في كثير من المحافل الأدبية والأكاديميّة والإعلاميّة والجهات البحثيّة والحقوقيّة المحليّة والعربيّة والعالميّة.

حاصلة على نحو٦٣ جائزة دوليّة وعربيّة ومحليّة في حقول الرّواية والقصّة القصيرة وأدب الأطفال والبحث العلميّ والمسرح، كما تمّ تمثيل الكثير من مسرحياتها على مسارح محليّة وعربيّة.

لها ٥٨ مؤلفاً منشوراً بين كتاب نقديّ متخصّص ورواية ومجموعة قصصيّة وقصّة أطفال ونصّ مسرحيّ مع رصيد كبير من الأعمال المخطوطة التي لم تنشر بعد، إلى جانب المئات من الدّراسات والمقالات والأبحاث المنشورة، فضلاً عن الكثير من الأعمدة الثابتة في كثير من الصّحف والدّوريات المحليّة والعربيّة.

لها مشاركات واسعة في مؤتمرات محلّية وعربيّة وعالميّة في قضايا الأدب والنّقد والتّراث وحقوق الإنسان والبيئة، إلى جانب عضويتها في لجانها العلميّة والتّحكيميّة والإعلاميّة.

هي ممثّلة لكثير من المؤسّسات والجّهات الثقافيّة والحقوقيّة، كما أنّها شريكة في الكثير من المشاريع العربيّة والعالميّة الثّقافيّة.

تُرجمت أعمالها إلى الكثير من اللّغات، ونالت الكثير من التّكريمات والدّروع والألقاب الفخريّة والتّمثيلات الثقافيّة والمجتمعيّة والحقوقيّة.

مشروعها الإبداعيّ حقل للكثير من الدّراسات النقدية والبحثيّة ورسائل الدّكتوراه والماجستير في الأردن والوطن العربيّ والعالم.

من أعمالها المنشورة:

١- الرّوايات:

١- أعشقني.
٢- السقوط في الشمس.
٣ - أدركها النّسيان.

٢- روايات الفتيان:

١- أصدقاء ديمة.

٣- المجموعات القصصيّة:

١- قافلة العطش.
٢- تراتيل الماء.
٣- الجدار الزجاجيّ.
٤- حدث ذات جدار.
٥- الذي سرق نجمة.
٦- تقاسيم الفلسطيني.
٧- عام النّمل.
٨- رسالة إلى الإله.
٩- أرض الحكايا.
١٠- مقامات الاحتراق.
١١- ناسك الصومعة.
١٢- قافلة العطش.
١٣- الكابوس.
١٤- الهروب إلى آخر الدّنيا.
١٥- مذكرات رضيعة.
١٦- أكاذيب النساء.

٤- مجموعات قصصيّة مشتركة مع أدباء عرب وعالميين:

١- مجموعة قصصيّة مشتركة مع قاصّين أردنيين بعنوان "القصّة في الأردن: نصوص ودراسات.

٢- مجموعة قصصيّة بعنوان "الضّياع في عيني رجل الجبل".

٣- مجموعة قصصيّة مشتركة مع قاصين عرب بعنوان "في العشق".

٤- مجموعة قصصيّة مشتركة مع قاصين أردنيين بعنوان "مختارات من القصّة الأردنيّة".

٥- مجموعة قصصية مشتركة مع أدباء مصريين مجموعة نجوم القلم الحرّ في سماء الإبداع.

٥- مسرّحيات للكبار:

١- دعوة على شرف اللّون الأحمر.

٢- صورة (سيلفي) مع البحر.

٣- محاكمة الاسم (×)

٤- وجه واحد لاثنين ماطرين.

٥- خرّافيّة سعديّة أم الحظوظ

٦- مسرّحيات للفتيان والفتيات:

١- السّلطان لا ينام.

٢- اليوم يأتي العيد.

٣- رحلة مع المعلّمة فرحة.

٧- قصص أطفال:

١- قصّة للأطفال بعنوان "زرياب: معلّم الناس والمروءة".

٢- قصّة للأطفال بعنوان "هارون الرّشيد: الخليفة العابد المجاهد".

٣- قصّة للأطفال بعنوان "الخليل بن أحمد الفراهيدي: أبو العروض والنّحو العربيّ".

٤- قصّة للأطفال بعنوان "ابن تيمية: شيخ الإسلام ومحيي السّنّة".

٥- قصّة للأطفال بعنوان "الليث بن سعد: الإمام المتصدّق".

٦- قصّة للأطفال بعنوان "العزّ بن عبد السّلام: سلطان العلماء وبائع الملوك".
٧- قصّة للأطفال بعنوان "عبّاس بن فرناس:حكيم الأندلس".
٨- قصّة للأطفال بعنوان "زرياب: معلّم الناس والمروءة".
٩- قصّة للأطفال بعنوان "صاحب القلب الذهبي".
١٠- ومئات القصص المصورة للأطفال المبثوثة والمنشورة في مجلات الأطفال المحليّة والعربيّة.

٨- المقالات والنّصوص النّثريّة:

١- أبي سيّد الكلمات.
٢- الذين لا ينامون.
٣- قالت النّساء.
٤- غصون وتخوم.
٥- الدّرب إليهم.

٩ – لقاءات حواريّة:

١- العرّافة والجبل.

١٠ – كتب نقدية متخصّصة:

١- الأسطورة في روايات نجيب محفوظ.
٢- السّرد الغرائبيّ والعجائبيّ في الرّواية والقصّة القصيرة في الأردن١٩٧٠-٢٠٠٢م.
٣- دور جلالة الملك في مكافحة الإرهاب:تفجيرات عمان في قصص بالشراكة مع المؤلف وائل الفاعوري.
٤- الدّواني والغواني.

١١- المشاركة في فصول نقدية في كتب نقديّة محكّمة متخصّصة:

١- المشاركة بفصل بعنوان "السّرد الجميل لتأثيث عالم قبيح" في كتاب بعنوان "حنون مجيد في منجزه القصصيّ"، جمع وإعداد وتحرير د. سمير الخليل.

٢- مشاركة بفصل بعنوان "لقاء مع العلامة علي القاسمي: أبو المعاجم العربية الحديثة" في كتاب "الدكتور علي القاسمي سيرة ومسيرة: مجموعة بحوث ودراسات مهداة إليه بمناسبة عيد ميلاده الخامس والسبعين، جمع وإعداد د. منتصر أمين عبد الرحيم.
٣- المشاركة بفصل بعنوان "عبد الكريم غرايبة العملاق الذي ينير الدّرب للجميع" في كتاب "عبد الكريم غرايبة مؤرّخاً عربيّاً".
٤- المشاركة بفصل بعنوان "مساحة التوتّر بين الانتظار والخيبة عند القاصّ العراقيّ فرج ياسين في مجموعته القصصيّة "واجهات برّاقة" في كتاب "في آفاق النّص القصصيّ: مقاربات في الهويّة والنّص والتّشكيل عند فرج ياسين".
٥- المشاركة بفصل بعنوان "البطل في قصص زياد أبو لبن" في كتاب "القصّة القصيرة في الوقت الرّاهن"، والمشاركة بفصل بعنوان "الذين لا يموتون" في كتاب "المبدع الرّاحل محيي الدين زنكنه بأقلام أصدقائه".
٦- المشاركة بفصل بعنوان "الفنتازيا رداءً للتثوير في التّجربة القصصيّة عند محيي الدّين زنكنة" في كتاب نقديّ بعنوان "نظرات نقديّة في عالم محيي الدين زنكنة الإبداعيّ".
٧- المشاركة بفصل بعنوان "شهادة إبداعيّة للأديبة الأردنيّة سناء شعلان" في كتاب "دراسات نقديّة عن الأدب الكرديّ".

١٢- الكتب المنهجيّة:

١- كتاب بعنوان "تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها: المستوى الخامس"، كتاب مشترك مع مجموعة من المؤلّفين.

عنوان المؤلفة: د. سناء شعلان

الأردن –عمان– الرّمز البريدي١١٩٤٢

ص.ب ١٣١٨٦

خلوي وواتس وفايبر: ٠٠٩٦٢٧٩٥٣٣٦٦٠٩

البريد الالكتروني :

Selenapollo@hotmail.com

العنوان على الفيس بوك

Sanaa shalan

9 789957 545239